ندى عبد الصاحب

رحلتي مع الحجاب

رحلتي مع الحجاب

الطبعة الثانية

منقحة ومزيدة

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

الفاتحة على أرواح المرحومين

السيد هادي الواعظ

غلوم علي إشكناني

عبد الجليل الصواف

الحاج علي سويد

وليد باقر حسين

فاطمة علي المظفر



رحلتي
مع الحجاب



ندى عبد الصاحب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞ مالك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك نستعين ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

صدق الله العلي العظيم

مقدمة
الطبعة الأولى

كثيراً ما شاهدنا وقرأنا الدراسات والمؤلفات عن السيرة الذاتية للشخصيات المرموقة المحملة بالألقاب، ولكن نادراً ما نقرأ عن سيرة الإنسان البسيط . . المجهول . . العاري عن الألقاب، وان كانت تحمل الكثير من العبر والتجارب القيّمة.

وأندر من هذا سيرة المرأة العفيفة الملتزمة بدينها . . البسيطة في مكانتها الاجتماعية . . البعيدة عن صخب الأضواء، وضوضاء الإعلام.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئة الكريمة هو إحدى تلك الصور المجهولة من المعانات التي تتكبدها المرأة المؤمنة في أدوار حياتها المختلفة وهي تحاول أن توفق بين ما يطلبه منها المجتمع وبين ما يجب عليها تجاه دينها.

وفي أثناء هذا الكفاح تتعرض للكثير من الصدمات في مجتمعها، ومن مجتمعها، بل ومن محيطها وعائلتها . . .

فهي ترى الخطأ وتشعر به بفطرتها السليمة، وتنفر منه ولكن من حولها لا ينظرون إلى الخطأ إلاّ بعين التصويب، ويزينونه حتى يبدو للناس صواباً مرغوباً فيه.

وكأن رسول الله ﷺ عندما أشار بقوله: (**فكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً**)[1]، أراد هذا الزمان وهذا المجتمع.

---

١ ـ التهذيب: ج٦ ص١٧٧ حبببب٨ ب٢٢.

ولكن في وسط هذا الضباب القاتم ينبثق بصيص الأمل مع رجل من أحفاد رسول الله ﷺ يقود سفينة إنقاذ تبحر ضدّ التيّار، ويمدّ يد العون فينتشلها من وسط الأمواج العاتية وتصل برّ الأمان والإيمان.

وتكون للإرادة الدور الأول، فكل ذلك ما كان ليتم لولا الإرادة، فإرادة الإنسان هي العامل الأول في تصحيح المسير، وإذا لم يرد الإنسان لنفسه الهداية فكل الوسائل المتاحة لا تنقذه مما هو فيه.

فلنخطوا مع هذه المرأة المكافحة المحبة لدينها، ونرى حالتها قبل الحجاب وحالتها بعد الحجاب، ونلمس بأيدينا الفرق بين حياة المرأة المحجبة الملتزمة وحياة المرأة السافرة غير الملتزمة، ونحكم بأنفسنا وننتخب الطريق الصحيح ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[1].

الشيخ صفاء الخطيب

دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام

١ محرم الحرام ١٤٢٠ هـ

---

١ ـ سورة القيامة: الآية ١٤ ـ ١٥.

مقدمة
الطبعة الثانية

الموهبة منحة إلهية، يمن بها الباري ﷻ على بعض بني البشر بأشكال وألوان مختلفة، فبعض بعضلاته القوية المفتولة، وآخر بذكائه الخارق، وبعض بحافظة وذاكرة تكاد أن تكون حاسوباً، فلله في عباده شئون . . .

وأما البشر فقد ظل عاجزاً عن فهم معادلات السماء، وإدراك موازينها فحتى الموهوبين أنفسهم بقوا حيارى لا يدرون كيف ولماذا؟؟

ولو نظرنا إلى الموهبة من جهة أخرى لوجدناها لا تعرف الحدود الجغرافية ولا الهوية، بل وحتى الحسب والنسب، وهذا هو العجب، فليس مألوفاً ـ عادةً ـ أن يكون الطفل أعجمياً، ويحفظ القرآن وهو ابن خمس سنين ـ مثلاً ـ.

وآخر له سبع سنين، ويكتب مقالاته بلغتين، تنشرها له أكثر جرائد العالم انتشاراً . . .

والمؤلفة ـ حفظها الله ـ هي عيّنة، من تلك المعادن النادرة، التي ستخلّف بعدها بصمات جليلة، على المكتبة الإسلامية، بكتاباتها اللاحقة إن شاء الله.

وأما كتابها هذا فهو غني عن التعريف، بدون محاباة أو مجاملة، ودليلنا هو نفاذ طبعته الأولى بسرعة فائقة، وتأثيره الكبير في الساحة العربية والإسلامية وغيرها، فما أن صدرت طبعته الأولى، حتى بادر بعض

المؤمنين إلى بثّه عبر الإنترنت، ولاقى ترحيباً لا يوصف، في كثير من أنحاء العالم، كأوربا والولايات المتحدة الأمريكية، ناهيك عن الدول العربية والإسلامية، فقد قرأه وطالعه عشرات الآلاف من المسلمين والمسلمات، في أقل من عام واحد، وما زالوا يبعثون برسائل الشكر لبثّه، ويثنون على تأثيره في نفوس بناتهم، وأخواتهم في تلك الديار البعيدة عن تعاليم الإسلام.

وبادر ـ أيضاً ـ بعض المحسنين إلى ترجمته إلى اللغة الفارسية لكي يطبعه هناك.

أخي القارئ، أختي القارئة . . لست بصدد الثناء على هذا الكتاب أو مؤلفته، رغم كونه من أجمل المذكرات النسائية، ويعالج القضية المهمة للمرأة المسلمة المعاصرة، لكنه ـ بحق ـ يختلف عن سائر المذكرات، أو القصص الروائية، لأن أكثر الكتّاب الروائيين يستندون إلى أساطير الأمم، أو إلى وحي الخيال، ولكن الكتاب الماثل بين أيديكم، هو قصة واقعية عاشت المؤلفة جميع فصولها، فتجرّعت مرارتها تارةً، وتذوّقت حلاوتها تارةً أخرى، في رحلة تُعد حاسمة، نقلتها إلى ساحل الهداية والإيمان.

وفي الختام أسأل الله أن يبارك للمؤلفة حجابها، وكتابها، وأن ينفع بقلمها أمة الإسلام إنه سميع الدعاء.

السيد أحمد الواعظ

دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام

٨ ربيع الأول ١٤٢١ هـ

١٣/ ٦/ ٢٠٠٠م

إهداء

اهدي هذا الكتاب إلى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بضعة الرسول الأعظم ﷺ وزوجة حيدر المرتضى ، وأم سيدَيْ شباب أهل الجنة عليهم أفضل صلوات الله وأزكى سلامه ، هديةً متواضعةً ، فهي عليها السلام منبع الرحمة ، والنور الذي تشفعتُ وتوسلتُ به إلى الله كي يبدد ظلام قلبي ، فأشفقتْ عليَّ وأرسلتْ إليَّ أحد أحفادها الأطهار سادتنا الذين هم امتداد لنور أهل البيت عليهم السلام الذي بهم نهتدي .

وبفضل الله ورحمته عليَّ ، ودروس الهداية والتوجيهات التي تفضّل بها عليَّ السيد الجليل ، هداني الله صراطه المستقيم ، وأفاض عليَّ من لباس التقوى وثوب الطهر والعفاف ، وكساء الحشمة والوقار .

فأسأل الله أن يقبل مني توبتي ويغفر زلتي وأن تقبل سيدتي ـ روحي لها الفداء ـ مني هذا الجهد المتواضع وعسى أن تشفع لي به عند الله ، وأكون ممن تنالهم شفاعتها يوم الحشر والنشور ، ومن الله التوفيق .

المؤلفة ـ الكويت

الثلاثاء ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٦هـ

الموافق ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٥م

كلمة شكر ... أولاً

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا الحبيب المصطفى محمّد خاتم المرسلين، وعلى آل بيته وعترته الطيبين الطاهرين، الغرّ الميامين، أئمة الحق ومنار الهدى .. الأولياء الأوصياء .. سادة الخلق النجباء.

أما بعد: فأنا أَمَة الله التي سوّدت وجهها الذنوب والمعاصي، وقد منّ الله عليها بالهداية والتوبة رحمةً ورأفةً منه، إنه أرحم الراحمين، مجيب المضطر .. كاشف الضر .. مقيل العثرات .. كريم الصفح .. عظيم العفو.

أتوجّه اليوم بكلماتي هذه البسيطة المتمثلة في بحثي المتواضع آملة من الله ﷻ أن يجعل فيه القبول وأن يصل إلى يد كل مسلمة غيورة على شرفها ودينها، لتسعى إلى رضا الله والالتزام التام بشريعته السمحاء، التي كانت ولا تزال وستبقى إلى يوم الساعة أعظم رحمة أنزلتْ للعالمين.

أسأل الله عزّتْ قدرته أن يعينني على أن أقدّمه لك أختي العزيزة، بصورة واضحة وبنيّة خالصة، وأن أكون مخلصة أمينة في كل كلمة أكتبها وكل سطر أخطّه للوصول إلى الهدف السامي، الذي من أجله كلّفت نفسي بمهمّة الكتابة فيه.

وبفضل تشجيع منقذي ومعلّمي الفاضل السيد أحمد الحسيني - جزاه الله خيراً - المستمر في محاولة كتابة رحلتي مع أعظم رسالة منّ الله بها على المرأة ليصون كرامتها، وعفافها، وشرفها، ويحفظها من السقوط، في هُوّة الفتنة والفساد، وأن أتحرّى كل الصدق والأمانة في نقل الحقائق الواردة في هذا البحث.

وقبل أن أبدأ بسرد رحلتي مع الحجاب لابد من أن أسجّل عظيم شكري وعرفاني واعتزازي بكل ما قدّمه لي معلّمي - أطال الله في عمره - فله جُلّ الفضل بعد الله في إظهار هذا البحث إلى النور، ومساهمته العظيمة في تحمّل أعباء طباعة هذا الكتاب رغبة في مرضاة الله، وحرصاً منه على توصيل كل ما هدانا إليه الله من المعرفة، إلى الأخوات العزيزات ليتعظن منه ويوفّقن لسلوك جادة الهداية والصلاح.

فقد كان هو المعلم، والمقترح لهذا العمل المتواضع، وله كلّ الفضل في التوجيه والإرشاد والمتابعة، والتدقيق في كل كلمة جاءت فيه حرصاً منه عليكن أخواتي لتحقيق الهدف المرجو من كتابته كما أسلفت.

ولولا حثّه لي وتشجيعه المستمر والدؤوب لاستكماله، رغم كل الصعوبات التي كانت تحول دون استمرار الكتابة في بعض الأحيان، لما استطعت إنجازه.

فأسأل الله ﷻ أن يجعله سعيد الدارين، ويبارك له في كل خطوة يخطوها في سبيل الله، وأن يعظّم له الثواب عن كل عمل يقدّمه، وأن يقضي حوائجه وحوائج المؤمنين والمؤمنات في الدنيا والآخرة، وأن يجعله في أعلى علّيين مع الأنبياء، والأولياء، والصديقين، والشهداء.

بداية الرحلة

خلق الله سيدنا آدم وزوجته حواء ، وجعلهما في الجنة يعيشان ويتمتعان بنعيمها . . ثم أمر الملائكة تسجد لهما تعظيماً لصنع الله وطاعةً لأمره ، لأن الله نفخ فيهما من روحه وبثّ الحياة فيهما ، فأبى إبليس واستكبر ولم يطع أمر الله تعالى ، فسخط عليه وطرده من قربه .

الأمر الذي جعله يكره الإنسان ويطلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة ، ويقسم بعظمته سبحانه لَيُغوِيَنّ بني آدم ، وليضلنهم عن سواء السبيل حسداً وحقداً .

وقد حذّر الله أبوينا آدم وحواء ، من فتنة وغواية إبليس فهو عدوّهما المبين ، وبرغم التحذير فقد كانت أول غواية لإبليس في نفسيّ آدم وحواء هي حين وسوس لهما ليقربا تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها ، وكان ذلك معصية[1] لأمر الله ارتكبت من الإنسان ، والتي كانت عاقبتها أن بدت لهما عورتهما وصارا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا سوءاتهما ، فندما ندماً شديداً لفعلتهما ، وصارا يطلبان الصفح والعفو والمغفرة من الله ليغفر لهما ويتوب عليهما ، ويواري سوءاتهما ، فأنزلهما الله إلى الأرض ،

---

١ ـ المعصية هنا هي ترك الأولى وليس ارتكاب المنكر كما يظن. راجع التفاسير عند الآية ﴿... وعصى آدم ربه فغوى﴾ طه:١٢١، وآية ﴿... وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ...﴾ البقرة: ٣٦، في تقريب القرآن إلى الأذهان، مجمع البيان وغيرهما.

وأنزل عليهما لباساً وريشاً ليسترهما، ونصحهما بلباس التقوى فذلك خير لهما.

حيث قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**[1].

وقال الشاعر:

إذا المرءُ لم يلبسْ لباساً من التُقى ... تقلّبَ عُرياناً ولو كان كاسياً

فخيرُ خصال المرء طاعةُ ربّه ... ولا خيرَ فيمن كان لله عاصياً

ولكن الله لم يترك الإنسان دون هدف ورسالة، فقد أراده خليفة في أرضه، وحمّله الأمانة التي أوكلها إليه ليؤدي حقها **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[2].

وخلاصة ما أريدُ تبيانه في هذه المقدمة البسيطة أن الله قد أنزل لباس التقوى ليستر الإنسان ـ المخلوق الذي سجدتْ له الملائكة كلها ـ وذلك كي يحافظ عليه وعلى كرامته، فإذا كشف ستره فقد هانت منزلته، وذلك يعني أن الله قد غضب عليه، واستوجب له العقاب والحط من قدره، لأنه قد محا سموّ شرفه، وعاد إلى التعرّي والانسلاخ عن قِيَم التقوى.

ومرّت العصورُ وتوالت الرسل وتعددت المعجزات، التي أيّد الله بها أنبيائه، مساندةً لهم ووسيلةً لإرشاد أقوامهم، إلى طريق الهداية، التي وصّى بها الله آدم ﷺ حين جعله خليفةً في الأرض، فقامت حضارات وأتت أمم بعد أمم، ثم هلكت لمعاندتها وتكذيبها لرسالات الأنبياء، الذين أُرسلوا إليهم إلى أن ختم الله رسالاته السماوية بمسك رسالة محمد النبي

---

١ ـ سورة الأعراف: الآية ٢٦.

٢ ـ سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

الأمّيّ ﷺ الذي بعثه هادياً لكل العالم والأمم التي تأتي من بعده، وجعل معجزته عامة، وصالحة لكل زمان ومكان، وحفظها من الضياع وكتب لها الخلود، ذلك هو القرآن الكريم الذي كان البند الأول من وصية النبي ﷺ الخالدة، فيما كان البند الثاني منها عترته الطاهرة قائلاً:

(إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...)[1].

والمنهج الأساسي الذي دعا إليه القرآن والعترة المباركة، وأكّدا عليه، هو الالتزام بالتقوى، فالقرآن يأمر بالتقوى في كثير من مواضعه بل حثّ على بذل قصارى الجهد للوصول لذلك **﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...﴾**[2] وأحاديث أهل البيت عليهم السلام كذلك، دعت إلى التقوى وقيمها المسعدة.

من هنا فإن الرسالة الإسلامية قد جاءت ومن دون شكّ وريب، لإنقاذ الإنسان من كل أنواع الشقاء، وأما المرأة فللإسلام نحوها اهتمام خاص لمعالجة همومها والدفاع عن حقوقها، وسوف نبيّن ذلك في الصفحات الآتية.

---

١ ـ الكافي: ج٢ ص٤١٥ ح١.

٢ ـ سورة التغابن: الآية ١٦.

مكانة المرأة

من بين الأمور الهامة التي أعطاها الإسلام حقّها، وبيّن دورها الحقيقي هي مكانة المرأة، وقد كان حالها في عصر الجاهلية غايةً في الإجحاف والمهانة، حيث أنها كانت تُعتبر عاراً لأسرتها، وإن الأب ليَسوَدّ وجهه فهو كظيم حين يُبشّر بمولودته الأنثى، حتى بلغت ببعضهم الوحشية أن يدُسّ تلك الطفلة - حديثة الولادة - في التراب وهي تنبض بالحياة خوفاً من أن يُعيّر بها[1]، أو تكون عرضة للسبي أو البيع، وغير ذلك من أمور الجاهلية وعاداتها الفاسدة، لذا لم تكن لها أي كرامة واحترام أو قيمة تُذكر.

وحينما جاء الإسلام حرّم كل هذه الأمور، ورفض الوحشية التي فرضت على الأنثى، وكرّم آدميّتها، ورفع من شأنها وأعادها إلى مكانها اللائق بها.

لقد كرّمها أُمّاً وبنتاً وأختاً وزوجةً، وفرض احترامها وعرّف مكانتها وحافظ على شرفها ووقارها، حيث أعاد إليها لباس التقوى الذي مَنَّ به عليها وكساها به، ذلك اللباس الذي كان قد وصّى أبوينا «آدم وحواء» بالتحصّن به.

لباس التقوى الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ زوجاته وبناته وأهله ونساء أمته بارتدائه، حفظاً لهن وستراً لشرفهن حتى لا يؤذين من قبل

---

١ ـ إشارة إلى الآية الشريفة ﴿وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم﴾، سورة النحل: الآية ٥٨.

ضعاف النفوس.

ومن شدّة حرص الإسلام على المرأة وصونه لكرامتها، فقد أنزل الله على رسوله ﷺ العديد من الآيات والسور التي سنّت لها قانوناً سماوياً، رفيعاً يوضّح لها السبيل إلى تقوى الله وعبادته، وبياناً لأمور طاعته، والتي من أهمها كيفيّة الحفاظ على حالة التقوى والحشمة والوقار[1]، ذلك القانون القرآني الذي فسّرت بنوده وفلسفته . . . فاطمة الزهراء عليها السلام، التي كانت أعظم مدرسة في تطبيق الرسالة، وخير من التزم بأوامر الشرع وانتهى عن نواهيه، بل كانت تحثّ نساء المسلمين على الالتزام بالنهج القويم، محذّرة إيّاهنّ من التهاون والإهمال في التطبيق وما يجرّه عليهن من الويلات . .

فالزهراء ما أعظمها من مدرسة! علّمت أجيالاً وأجيالاً، ولا زالت مدرستها قائمة تنير الطريق أمام نساء العالمين لكل من تروم الهداية وتريد الصلاح.

---

١ ـ من هذه الآيات جاء في سورة الأحزاب آية ٣٣ ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى ...﴾ وفي آية ٥٩ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ وفي سورة النور آية ٣١، ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وغيرها من روايات التي سنأتي على ذكرها فيما بعد.

لماذا الحجاب؟؟

من منطلق غيرتي على مثيلاتي وحبي لخيرهن أودّ أن أوجّه دعوتي إلى كل أخت وأم، وكل فتاة من هذه الأمة أن ترافقني في رحلتي السعيدة هذه، والتي إن أردتُ أن أعبّر عنها بعنوان فإن أفضل ما يمكنني التعبير عنه هو: أنها معجزة الهداية التي مَنَّ الله بها عليَّ.

وأنا إذ أصحبكِ أختي الكريمة في رحلتي على بساط هذا الكتاب الممتع إنما أخاطب فيكِ ضميرَ «الأم» التي تحرص على تربية أبنائها تربيةً صالحةً لتؤدي الأمانة التي أخلفها الله عليها، وأوكل مسئوليتها الكبيرة على عاتقها.

فالأم هي التي تصنع جيل المستقبل القادم، وما تزرعه في نفوسهم في الصغر ستجني ثماره في الكبر، وسيتحمّل مجتمع بأسره نتائج هذه التربية، فانتبهي أيتها الأم العزيزة، وقفي وقفة تمعّن وتفكير عميقيْن للقراءة في كل موقف مررتُ به في حياتي، وكان له الأثر السلبي في نشأة شخصيتي، وكان السبب في إهمالي لبعض الأمور التي لم يعطها أهلي أهميتها الحقيقية في بداية حياتي، وما قد يترتب عليها من ضرر أو أذى لي، لاعتقادهم أنها من الأمور التي يمكن التساهل بها لبعض الوقت - خصوصاً - في الالتزامات الدينية التي يجب التقيّد بها منذ الصغر، والتي من أهمها محور موضوعنا، ألا وهو الحجاب، فقد أهملوه لانشغالهم بأمور دنيوية ما أرادها الله منّا.

ولكنهم يقلقون أنفسهم بأعبائها، ويضعون الخطط المستقبلية المسبقة لها ويعطونها الأهمية العظمى والأولوية القصوى في حياتهم ليطمئنوا

حسب زعمهم على مستقبل الأولاد الدراسي والوظيفي والأسري، متناسين دورهم الأساسي في غرس الأسس والمبادئ الأولية لتربية وتنمية الوازع الديني والتوجيه والإصلاح.

في الوقت الذي قد كفل الله تعالى رزق الإنسان وما شابه ذلك، فهو القائل ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ...﴾[1] فالله الذي يتكفّل رزق الدواب كيف لا يتكفّل برزق الإنسان؟! وهو أشرف المخلوقات وأكرمها! فقد أنشد حاتم الأصم:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العسر واليسرَ

تكفّل بالأرزاق للخلق كلِّهم ... وللضبّ في البيداء والحوت في البحرِ[2]

وأودّ أيضاً أن أوجه خطابي إليك أيتها الأخت التي أخاف عليها وعلى كرامتها من ضعاف النفوس، وأتوسّم فيها التعقّل والتدبّر، وإدراك قيمة النصيحة التي أحاول أن أقدّمها لها عن تجربة شخصية وحقيقية مررتُ بها، ومن ثَمّ العمل بها، لتكون سعيدة في الدنيا والآخرة.

فأنا أتباهى وأفتخر بكونك أختي في الإسلام وأنّنا من أمة محمد ﷺ، ولا يحق لأي مخلوق أن يمسّ حيائها وشرفها بسوء، وأخاف عليها من مغريات هذا العصر المخيف الذي قد أتخم بوسائل الفساد المتسللة حتى إلى بيوتنا الكريمة.

ولا يعي الكثيرون خطورة هذا الغزو الثقافي لعقول الشباب، فالغازي ـ يا أختي العزيزة ـ القادم إلينا لا يحمل الآن بندقيةً أو مدفعاً كسابق عهده

---

١ ـ سورة هود: الآية ٦.

٢ ـ المصدر تفسير القرطبي: ج٩ ص١٠، في ذيل الآية الشريفة ﴿وما من دابة في الأرض ...﴾.

فحسب، ولكنه يحمل اليوم معه قنابل معبّئة بجراثيم الأفكار الهدّامة التي لا تصرع جسد الإنسان فحسب بل تصرع عقله وروحه، وسموّ أخلاقه ومبادئ المروءة والشهامة التي ينادي بها الإسلام، وهكذا أخذ العدو يفجّر حقده الدفين والقديم على قدسية هذه المبادئ السامية، وقوة تأثيرها وعظم نتائجها وانتصاراتها التي كانت السبب الأساسي في انتشاره في جميع بقاع الأرض.

فوالله إن القنابل الذرية والنووية والجرثومية التي يتفنن الغرب في تطويرها والتسلح بها، والتي يحاولون فيها إبادة البشرية لأهون من قتل نفس الإنسان ومبادئه وأخلاقه.

فما نفع الجسد إذا دُمّر فيه العقل! بل إن تأثير هذا العقل الملوّث بالأفكار الهدّامة كوباء الطاعون الذي يفتك بكل من حوله، وبسرعة لا يمكن السيطرة عليها، أو إيجاد أية وسيلة لوقف زحفه المميت والقاتل للبشر، ويصبح معولاً لهدم أسس وقواعد الدين والقيم الإنسانية ومن ثَمّ هدم المجتمعات.

أين الرقيب!

إن جيل المستقبل الذي تصرف عليه الدول الملايين في سبيل تنشئته نشأةً صالحةً ليكون حمىً للدين والوطن، ومصدر قوة للمجتمع، نجد - وبكل أسف - مجتمعاتنا قد أصبحت تربي هذه الأجيال على سماع الأغاني التي تميت القلب والضمير، وتحيي شيطان الشهوات فيه.. تربيه على أشرطة الفيديو المليئة بآفات الفساد وأفلام الانحراف الخلقي[1].

ناهيك عن الطامة الكبرى المتمثّلة بالأطباق الفضائية التي تضج منها السماء لكثرتها وخبث محتواها، والتي صارت تدخل كل بيت وتزحف حتى إلى غرف نوم الفتيات والفتيان، والله يعلم ما يأخذه هؤلاء الفتية.. هؤلاء الورود الغضّة وما يتطبّعون به من طبائع.

إنها لتشعرنا بالخزي والألم والحسرة، لأنها تسببت ضياع الكثيرين منهم في متاهات الحرام والانحلال والمخدرات دون رقيب أو حسيب يراقبهم أو ينصحهم أو يخاف الله في تربيتهم.

فالوالدان غائبان عن المنزل، أما الأب فهو مشغول بعمله وصفقاته التجارية ودعوات العمل، وحفلات العشاء إلى الليل، أو حتى رحلات سفر لحضور الاجتماعات العلمية والاقتصادية وغيرها، والتغيّب عن المنزل

---

١ ـ فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين ﷺ: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس)، دعائم الإسلام: ج٢ ص٢٠٢؛ وفي الحديث النبوي الشريف: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)، عوالي اللئالي: ج١ ص٢٤٤.

لمدة طويلة، وأما الأم فهي مشغولة بعملها ثم بدعوات صديقاتها، أو حفلات الشاي في الجمعية النسائية الفلانية أو افتتاح طبق الخير المقدم من الهيئة الكذائية، وكذلك السفر للترفيه والتسوّق من الأسواق الأوروبية، والاطلاع على أحدث أزياء الموضة لهذا الموسم، تلك الأزياء التي حاكتها الأيدي الفاسقة الضامرة للشر، بإبَر الكفر والفساد، والحقد على كل ما هو ستر ووقار، وسموّ لشرف المرأة المسلمة، لتنجّس وتلوّث طهرها وعفافها، وكذلك هناك أمهات جامعيات يسافرن لحضور المؤتمر الفلاني الذي يبحث ـ مثلاً ـ عن «حقوق المرأة والمشاركة في الدفاع عن حقوقها».

هؤلاء الآباء والأمهات الذين يركضون وراء مصالحهم الدنيوية وكيفيّة الترفيه عن أنفسهم، وقضاء أوقاتهم في تلك الدول للراحة والاستجمام، أو لاستعادة النشاط ومواصلة العمل من جديد، لا وقت لديهم ساعة واحدة للتوقف عندها، والرجوع إلى النفس ومحاسبتها وتقويم أخطائها، والتنبّه لأهمية تطبيق مبادئ التربية الصحيحة، وغرس هذه المبادئ البالغة الأهمية في عقول فلذات الأكباد الذين أصبحوا مهملين، ونُسِيَت حقوقهم في تلقين التربية الصحيحة، وبذل الحب والحنان، وتوفير الاستقرار النفسي والاجتماعي لتنشئتهم النشأة الصالحة، وربما راح بعضهم يتصوّر الأولوية في المطالبة بحقوق المرأة الصينية ـ مثلاً ـ، وأبناءهم وبناتهم يدفعون ثمن الإهمال باعتماد الأهل على خادمة مجهولة الهوية ومشكوكة السابقة، وفي الغالب من غير ملّة الإسلام، وتوليتها زمام أمور التربية الحديثة المتفتحة، فلبئس الاعتماد!!

مآسي أربعة

إن المخاطر السالفة الذكر إنما هي غيض من فيض، وقد أحاطت بمجتمعنا الإسلامي وصارت تشغل الناس عن الله والتوجه إليه، تصرفهم عن ذكره وعبادته وتغرقهم في بحور الفساد والفجور والتفكك الأسري، بل خَلَقَت جيلاً مهزوزاً ضعيفاً إمّعيّاً . . ضاعت منه الرجولة والنخوة والغيرة والمروءة، لا يستطيع تحمل المسؤولية . . . والدليل: هو ما نراه اليوم من مآسي أسرية جلبتْ لنا العار والمهانة والذل بعد أن كان الإسلام لنا عزاً وفخراً وكرامةً.

ومن هذه المآسي:

أولاً: الطلاق

كثرة الطلاق وتفكك ركيزتي الأسرة المتمثلة بالوالدين حيث أن وجودهما يحمي الأسرة من الضياع والدمار والتمزّق وبالتالي الانحراف ودمار المجتمع بأسره.

أما أسباب الطلاق فكثيرة في مجتمعنا منها على سبيل المثال لا الحصر: حين تغضب الزوجة لأن زوجها متعصّب، أو أنه يريدها أن تبقى في المنزل، أو تريد أن تكون هي المتحكّمة والمسيطرة على الأسرة، ويدب النزاع حتى ينتهي إلى أن يلجأ كلٌّ منهما إلى بيت أهله، وبدلاً من أن يهدؤوا الأوضاع يزيدوا نار الخلافات حطباً، فالأب يقول لابنه: طلّقها وأنا أزوّجك بفتاة

أفضل منها، وأبوها يقول: اطلبي الطلاق وسيخاف ويأتي إليك راكعاً، وأخيراً لا هذا يرجع ولا تلك ترضى بالصلح ويتم الطلاق، فمن يدفع الثمن؟ بالطبع الأبناء الأبرياء! ويكون مصيرهم الضياع، وتعاطي المخدرات والانحراف، بينما الطلاق لم يشرّع إلاّ للضرورة القصوى، وعلى أنه آخر الدواء، ففي الحديث الشريف: **(لا شئ مباح ابغض إلى الله تعالى من الطلاق)**[1].

ثانياً: العنوسة

وبلادنا الإسلامية - مع الأسف - تزخر بالفتيات اللواتي قد حكم عليهن أهلهن بعذاب العنوسة، لأفكارهم المتحجّرة، أو تلك التي زرعوها في عقولهن عن زوج المستقبل، وشروط المهر والمسكن الفاخر والخادمة والسيارة والوظيفة وغيرها من الأمور التعجيزية، ويطول انتظارهن له ويضيع عمرهن سداً وربما لن يأتي أبداً، وهو بدوره يُصدم بهذه الشروط، ويعزف عن الزواج، فمن يدفع الثمن؟ هم الشباب والشابات! ويكون مصيرهم أيضاً الضياع والانحراف بمحاولة التعرّف، واقتناص أي زوج عن طريق العلاقات السرية وغير المشروعة.

إننا بالعودة إلى تعاليم الإسلام نحصل على الحلول المرضية، لأنه من جهة يحرّض على الزواج المبكر بحيث لا يفتح الشاب عينيه إلاّ على زوجته، وكذلك البنت فقد جاء في الحديث عن صادق آل محمد عليه السلام: **(من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته)**[2]، ومن جهة يحرّض على التقليل

---

١ ـ مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٧٩ ح١٨٢٣٣.

٢ ـ الكافي: ج٥ ص٣٣٦ ح١، ومثله في وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٦١ ح٢٥٠٣٦ ب٢٣.

من المهر وجعله أساس السعادة الزوجية حيث قال رسول الله ﷺ: **(أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً)**[١].

ثالثاً: الصداقة غير المشروعة

تفشي ظاهرة الصداقة مع الجنس الآخر: «البوي فرند» وهي المصيبة العظمى التي جاء بها هؤلاء المتشدقون باسم التحضر والحرية، وجلبوا عارها إلى فتياتنا وفتياننا المسلمين لتدمر ما تبقى من مُثُل وأخلاق يحملونها في نفوسهم البريئة وفطرتهم السليمة.

رابعاً: ظاهرة الهجرة

هجرة الشباب المسلم إلى الدول الغربية والتطبّع بطبائعها المنافية لأخلاق الإسلام ومبادئه وقيمه الأصيلة، محاولاً الهروب ممّا يراه اليوم من تشتت وتفكّك وانهيار لهذه المبادئ والقيم في مجتمعه المسلم الغارق بالصراعات والنزاعات، أو لشعوره بالفراغ الديني الذي لم يحرص أهله على ملئه بالطريقة الصحيحة والقويمة، والتي كان عليهم غرسها فيه منذ الصغر، أليس **(العلم في الصغر كالنقش في الحجر)** كما في الحديث عن رسول الله ﷺ[٢].

هكذا أصبح شبابنا يهاجر، وهناك تحتضنه الأيدي الغربية الآثمة، وتسهّل له جميع أمور ومستلزمات حياته التعليمية والترفيهية، وتقدم له السمّ المدسوس في العسل، وتدفعه إلى الانطلاق في عالم الحرية والإباحية والدونية، وتجعله من خلال إغراءاتها يستغني حتى عن أهله وينساهم،

---

١ ـ الكافي: ج٥ ص٣٢٤ ح٤، ومثله في التهذيب: ج٧ ص٤٠٤ ح٢٤ ب٣٤.

٢ ـ بحار الأنوار: ج١ ص٢٢٤.

وينسى كل ما يتعلق بتعاليم دينه الذي يحفظه من بؤر الفساد، وغير ذلك من المشاكل التي زعزعت الأمن والاطمئنان في قلوب الشباب عموماً.

وحين يقدّم أهل الخير النصح لهذين الوالدين المهملين لأولادهما، المنشغلين بمشاكلهما، يغضبان ويثوران، فالأم تقول: هذا ليس من شأنكم، إنهم أولادي وأنا المسؤولة عن تربيتهم! ومن أنتم حتى تعلّمونا كيف نربي أولادنا؟ دعوهم يأخذوا حرّيّتهم فلماذا نحرمهم من الاستمتاع في أول مراحل حياتهم وشبابهم؟!.

والأب يتذرع بأنه مشغول بتوفير لقمة العيش الكريمة من خلال تلك الأعمال التي لا تنتهي، وأنه يريد لأبنائه أن لا يعانوا من الحرمان الذي كان يعانيه في السابق والمال الآن وفيرٌ ولابد من جمعه، أما الصلاة والعبادات وغيرها سوف يعرفها ويتعلّمها لاحقاً، فما العجلة؟!

تلك هي عاداتنا فإما أن نحرم أنفسنا لدرجة المعاناة، ونتذمر من بؤس حالنا وننسى واسع رحمة الله وفرجه، أو حين يتوفر المال نسرف بتبذيره من غير تعقل أو اعتدال، أو شكر لواهب هذه النعمة فتتبدّد في غير مكانها الصحيح، وتنقلب النعمة إلى نقمة ولعنة على الوالدين والأبناء والمجتمع، فهل فكر هذا الأب أو هذه الأم من سيعلّم أولادهم أمور دينهم؟ من سيغرس فيهم مبادئ هذا الدين ويرغبها ويحبّبها إلى نفوسهم؟.

هذه الفتاة التي ستصبح زوجةً وأُمّاً في يوم من الأيام وستكون مسؤولة عن تربية أولادها - جيل المستقبل - من سيوجهها ويعلمها كيفية وأهمية الالتزام بالسلوك الإسلامي الصحيح ويرشدها إلى أخلاقياته والتزاماته؟! من سيخبرها عن ضرورة ارتداء الحجاب، وماهيته ومبادئه ولماذا؟ من يوجهها الوجهة الصحيحة في اختيار الصديقة الحسنة؟.

بل إن ما نراه اليوم أفظع من ذلك من حيث ظواهر التشبه بالغرب

والابتعاد عن مبادئ ديننا الحريصة على كرامة المرأة، فهناك بعض الأمهات اللواتي يحرضن بناتهن على ارتداء الأزياء الغربية الخليعة حتى لا يقال عنها أنها غير متحضرة!.

والفتى الذي هو أداة بناء المجتمع، والزهرة التي ستنفتح على المستقبل، من سيعلّمه الالتزام بتعاليم دينه ويوجهه ويغرس الوازع الديني في نفسه، الذي يجعله في أمان وحمى الله، بعيداً عن آفات الانحراف وبعيداً عن صحبة السوء؟.

وهذا المال الوفير هل عرفوا أين يُصرف؟ ولأي غرض؟ ومع من؟

عندما نغدق عليهم بالمال، وكل ما يطلبونه يجدوه من دون اهتمام فيما إذا كان ذلك سيعود عليهم بالخير أو الشر، وخصوصاً ما نراه الآن في ظاهرة اقتناء الفتيان والفتيات لجهاز المناداة «البيجر»، وجهاز الهاتف الجوّال، والسيارة، برغم قلة خبرتهم وحداثة سنهم، فعدم حساب الأهل لطبيعة الشباب المندفعة والمتهورة هي التي تسبب إيذائهم أو تودي بحياتهم!.

فهل سينتقص معنى الحرية والتحضّر الذي يتشبثون به إذا راقبوا وسألوا أولادهم عن أحوالهم وأمورهم؟.

فاحذري يا أختي الحبيبة من هذه اللعنات التي تصبّ على مجتمعنا في هذا الزمن العصيب والتي هي على وشك أن تصيب الجميع، إلاّ من تحصّن بحصن الله تبارك وتعالى.

إن رقيبكِ يجب أن يكون من داخل نفسكِ، فهو الذي يحميكِ ويحصنّكِ من كلِ شرّ، وإن صدقكِ مع نفسكِ هوَ الرادع عن كل رذيلة، ومراجعةَ النفس مرات ومرات هي الَتي تحيي الضَمير الغافل، فكّري بعقلكِ ألف مرة قبل أن تُقدمي على أي قولٍ أو عملٍ أو تتخذي أي قرار، ولا تتبعي هوى وميول النفس فتنجذبي وراء كل أفّاك ينعق باسم الحرية،

ويبهر عينيكِ بمظاهر الموضة الخليعة، التي تجعل منكِ مجرّد دمية فارغة وسلعة رخيصةَ خالية من الأخلاق، والقيم والمبادئ الإسلامية التي تكرّم المرأة وترفع من شأنها، تعلّمي أن تقولي: لا، ألف مرة بكل قوّة وثقة وتصلّب، لكل ما قد يجرح كرامتكِ ويحطّ من شرفكِ، ولا تستسلمي لمغرياتهم أبداً.

أعظم الجهاد

جاهدي هوى نفسك وشهواتك فإنه أعظم جهاد بشهادة رسول الله ﷺ لأنه أكبر وأصعب الجهاد، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: (**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**)[1]، وقوله ﷺ: (**جهاد النفس هو الجهاد الأكبر**)[2].

جاهدي ضد التكبر الذي هو أول وأكبر إثم ارتُكب في هذا الكون حين أبى إبليس السجود لآدم عليه السلام برغم سجود الملائكة كلهم أجمعين، زعماً منه أنه أفضل منه خلقاً.

والنفس حين تتكبر على الله - والعياذ بالله - ترفض عبادته تعالى وذلك هو التكبر الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان الله فينساه الله من رحمته حيث يقول: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ...**﴾[3].

واحذري أن تظلمي نفسكِ، فمن أسوء أنواع الظلم أن تتركي النفس تغرق في المعاصي.

فجهاد النفس الأمارة بالسوء لن يتوقف، فالإنسان لا يزال يحارب هوى نفسه حتى آخر لحظة في حياته، وسيؤيدكِ الله بنصره ما دمتِ مستمرة ومصمّمة على تحدي ومحاربة الفساد بدءاً من داخل نفسكِ ومن حولكِ فقد

---

١ ـ مجموعة ورام: ج١ ص٥٩ باب العتاب.

٢ ـ شبهه في بحار الأنوار: ج١٩ ص١٨٢ ب٨ ح٣١.

٣ ـ سورة الحشر: الآية ١٩.

قال أمير المؤمنين ﷺ: (**فلما رأى الله صدقنا أنزل علينا النصر**)[1].

فانتفضي ضد جيش الباطل كلّه الذي يعسكر في داخل نفسك والذي يحاول الشيطان تحريضه عليك ليضعفك وينال منك . . حاربيه وَقاوميه بقوة إيمانك والتزامك وحرصكَ على دينَك وتسلحكَ بكتاب الله وعترة الرسول المصطفى ﷺ وتحصنك بدَرع الحجابَ ـ حصن الوَقار وسور الكرامة والشرف ـ وتأكدي أن أحداً لن يَصل إليك أبداً أو يمسّك بسوء أبداً مادمت متحصنة بهذا الحصن العظيم ﴿... **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ...﴾[2]، وستظفرين بنصر الله، بهدايته لك ورضاه عنك، وليس فوق رضوان الله شيء. ولك أختي العزيزة أن تتأكدَي من صحةَ كلامي هذا ـ حيث أن الإنسان لا يَأخذ بصحة وصدق الكلام إلاّ إذا عاش المأساة وتجرع مرارتها بنفسه ـ عندما أقدم لك تجربتي المريرة التي كان سبب مرارتها وبؤسها لعنة بريق السفور الخادعَ، ولا يحسّ بطعم حلاوة الهداية إلاّ من ذاق وتجرع مرارة العيش بالضلال متوهماً أن ثقته بنفسه وحدها تكفي لأن تحصنه من آفات عصرنا الحديث.

وأنا إذ أجسّد أمامك مثالاً حيّاً لتجربة حقيقية وقاسية مررتُ بها، وهي ليست قصة وهمية لتستَنتجي منها حكمة مثالية خيالية أو غير ذلك، إنما أريدك أن تعيشيها معي لتعرفي ما عانيته في السفور وحقيقة ما أشعر به من راحةَ واستقرار وأمان في ظل الحجاب، فقد يكون لكلمتي هذه البسيطة وقع على قلبك البريء ولكن زحمة الحياة ومغرياتها ومباهجها التي تحيط بك ربما تشغلَ عينيك قليلاً عن الحقيقة أو أبعدتك قليلاً عن التوجّه الصَحيح إلى الله، ولربَما تنكشف تلك الغشاوة عن عَينيك لتنظري إلى الطريق الصحيح الذي ينقذك من التيه فتسلمي بدينكِ وتظفرَي بنصر الله، كما أنعم عليَّ وأكرمني بذلكَ.

---

١ ـ نهج البلاغة: ص٤٥ الخطبة ٥٦.

٢ ـ سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

الحكمة الإلهية
في النفس البشرية

إن هذه الرحلة بكل ما تحمله في بدايتها من آلام وإحباطات، أعقبتها رحمة، فهداية، فنصر، فاستقرار، قد جعلتني أحسّ كم أن هذا القَدَر عجيب! وأنه لا يمكن لمخلوق التنبؤ بما يمكن أن يحدث له في سلسلة حياته القصيرة، ولو وضع لها أدقّ وأفضل الخطط، وكم أنها سلسلة مقسّمة بكل حكمة وعدل وإعجاز متناهي العظمة تدل على عظمة مقدِّرها ومدبِّرها الحكيم.

فكل إنسان خلقه الله ﷻ في هذا الكون قد أوجد في نفسه البشرية الضعيفة جانبي الخير والشر، وجعله مخيَّراً في اختيار طريق حياته من بينهما ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[1] ثم كلّفه بالسعي، ولهذا جعل له مصيرين مبنيّين على هذين الطريقين، وبحسب سعيه وعمله ينال الجزاء الذي يستحقه، لتتجلّى عظمته وحكمته في كل شيء أوجده ﷻ، فإن اختار الخير وعمل بأوامر الله من طاعة وعبادة فإن له في الجنة حُسْن مآب، وإن عاند وتمرّد وأنكر نعم الله عليه ولم يعبده ـ عصياناً منه وكفراً ـ فإن نهاية مطافه إلى جهنم وبئس المصير ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[2]، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[3].

---

١ ـ سورة البلد: الآية ١٠.
٢ ـ سورة الإنسان: الآية ٣.
٣ ـ سورة الزلزلة: الآيات ٧ ـ ٨.

مفارقة بين مرحلتين

وأما سلسلة أحداث حياتي فكانت مليئة بآيات الإعجاز المتمثلة في الرحمة التي يكرم الله بها عباده، تحنّناً منه ليتوب عليهم ويمنّ عليهم بالهداية، ويرحمهم من طاغوت المفاسد والشهوات، وينقذهم من أوكار الشيطان والانحرافات وبراثن الأفكار الهدّامة التي جلبها إلينا ذلك الاستعمار الغربي البغيض لهدم صرح الإسلام وحضارته التي أسّس ركيزتها النبي الأعظم ﷺ ورسّخ قواعدها ودعائمها الأئمة المعصومون عليهم السلام من بعده.

ولكي لا أدخلكِ أختي القارئة في متاهات حياتي المتشابكة والمتشعبة فنحيد عن الهدف الأساسي الذي من أجله ظهر هذا الكتاب إلى الوجود وكان بنائي فيه على الاختصار والاقتصار، لذا يمكنني أن أقسم هذا البحث إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل الحجاب، والتي تشمل وتوضح العوامل النفسية والاجتماعية التي أثرت في التكوين الأساسي لشخصيتي وسلوكي.

الثانية: مرحلة ما بعد الحجاب، وآثار هذا القرار الذي غيّر مجرى حياتي كلياً وطريقة تعاملي مع نفسي ومع الآخرين.

وأتمنى من خلال هاتين المرحلتين أن تتحسّسي الفروق الكبيرة والتغيرات النفسية والاجتماعية، وحتى الصحيّة التي حدثت لي في كلتا المرحلتين والتي أرجو أن تكون واضحة ونافعة لكِ، وكُلّي أمل أن أنجح في

جذب انتباهكِ إلى أهم التغيرات التي حصلت في كل مرحلة مررتُ بها ، لتستنتجي وتستنبطي منها العبرة والعظة ، فنصل معاً إلى ذلك الهدف السامي الذي هو محور حديثنا هذا ، والذي أسعى أن تصلي إلى معرفته ، والتمسُّك به فننال بذلك رضى الله ﷻ في الالتزام بتلك الرسالة العظيمة . . رسالة الحجاب التي تحجبنا عن السيئات وتنقلنا إلى رحاب الحسنات .

والدي ..
المشكلة الأولى !

أمّا عن المرحلة الأولى من حياتي والتي هي مرحلة ما قبل الحجاب، فقد ولدت في بيت كريم متواضع بسيط، من أب طيّب وأمّ حكيمة وأخوة وأخوات مؤمنين وقانعين بما قسم الله.

كان بيتنا صغيراً وبقدر ما كنّا نشكو من صغره ـ في بعض الأحيان ـ فقد كان في ذلك خيرنا **﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**[1]، حيث جعل الله في صغر حجمه الخير والفضل في كوننا دائماً متقاربين متحابين، نعيش ونفكر معاً ويضمّنا إحساس واحد.

كان والدي في بداية تكوين أسرتنا المتواضعة شديداً بعض الشيء حيث أنه ـ وكما هو شائع في مجتمعاتنا ـ كان يفضل أن يكون أولاده ذكوراً يفتخر بهم وينتفع بهم أكثر من البنات على حدّ تفكيره البسيط، وهم الذين سيخلدون ذكره فيما بعد، وأنا أشعر بالأسف والشفقة لهذا النوع من التفكير خصوصاً وإننا مسلمون، والله قد كرّم المرأة ورفع من قيمتها ومكانتها، وبيّن أن البنت رزق ورحمة منه، فلعل الله يجعل في البنت خيراً كثيراً، بينما يظل تفكير فئة من الناس محدوداً وضيّقاً خصوصاً من لم يأخذ قسطاً وافراً من التعليم والوعي الديني الصحيح، وكما هو حاصل مع الأسف في منزلنا.

---

١ ــ سورة البقرة: الآية ٢١٦.

أثر المعاملة السيئة والخلافات العائلية

إن أكثر مَـن كـان يعـاني مـن جـهـل والـدي لمعنـى الأبـوة الصحيـح هـي والدتي التي كانت على قدر لا بئس به من العلم والمعرفة ـ بالرغم من ميلها أيضاً بعض الشيء لأخوتي الأولاد أكثر من البنات ـ وقد كـان لـها أكبر الأثـر في محاولة توجيه أخلاق والـدي وتصرفاته معنـا ، وكـم تعبتْ أمي المسكينة وعانتْ مـن تلك التصرفات ، فلـم تـهنأ طوال حياتـها بسبب ذلك ، فحين طفولتي كنت أرى وللأسف والـدي ـ سامحه الله ـ يضرب أمي لأقل وأتفه الأسباب ، وكنت أرى أمي المسكينة وهي تتألم في نفسها أكثر من إصاباتها الجسدية الخارجية وتتجرع آلامها بصمت وصبر مرير .

وكم طفح بها الكيـل مرات عديدة في محاولة تجنب معاملته القاسية في الرجوع إلى أهلها ، ولكنهم كانوا أكثر كرهاً لها ، لأنها كانت من أب آخر وقد زرعتْ أمّها ـ سامحها الله ـ ذلك الكره في أنفس أخواتها من الصغـر لمجرد أنها تكـره زوجـها «والـد أمي» ، وقد دفعت بها إلى الزواج في سن مبكر ولأول شخص زارهم ـ الذي هو أبي ـ دون أن يسألوا عنه ! فقد كانت تريد ـ زوجة أبيها ـ التخلص منها ، فكانت النتيجة ما عانته أمي ، وما نعانيه نحن الآن .

لقد كان أبي إذا غضب لا يرحم ولـم يكن لأمي مَن ترجع إليه أو تشكو لـه آلامـها إلاّ الله ، وبقيت تتحمل وتكابد وكانت سلوتها الوحيدة التي تصبّرها على قساوة الحياة هي وجودنا نحن ، عسى أن كبرنا نعوّضها

الحنان الذي فقدته من الأهل والزوج، فكرّست حياتها لأجلنا لتصنع منّا أبناءً وبنات صالحين، برغم مأساتها التي بقيت في قلبها ولم تصرّح بها لأحد إلاّ الله، وكان دعاؤها لنا هو السبب في توفيقنا ولله الحمد.

ولم تتوان والدتي عن بذل الكلمة الطيبة التي تستقبل بها سوء تصرف والدي، محاولةً تحسين تعامله مع أفراد عائلته وساعيةً لتبرير سوء تصرفاته في كثير من الأحيان.

وبعد الجهد الكبير الذي بذلته والدتي ولازالت تبذله اقتنع والدي أخيراً ولم يعد يتطاول عليها بالضرب، أو ربما لأننا كبرنا وصار يشعر بامتعاضنا من هذه الحالة السيئة.

وبالرغم من طيبة قلبه التي نحس بها في كثير من المواقف لكنه في بعض الأحيان يجرحها بالكلمة أو يقلل من قدرها ويعيِّرها بأهلها إذا حاولت أن تعرِّفه بخطأ ما ارتكبه من باب النصيحة ليسكتها بذلك، وهذا ما كان له أيضاً بالغ الأثر في تحطيم نفسيتنا نحن وليس أمي فقط، فإنه لا يتورع عن أن يشتمها أو يقلل من شانها حتى أمام أزواج أخواتي والذين ولله الحمد بالرغم من طول لسان والدي يكنون كل التقدير والاحترام لوالدتي، بل ويشفقون عليها لتحمّلها تصرفات وأخلاق والدي التي لا تنم عن أدب أو لباقة أو احترام، إلاّ أن ذلك قد ترك بعض الأثر السيئ في علاقة هؤلاء الأزواج مع أخواتي، من حيث شعورهن بالمهانة وقلّة القيمة لما يرونه من هذه التصرفات.

وظلّ والدي ـ وللأسف ـ يعاملنا بهذه المهانة، وخصوصاً نحن البنات، وكأننا جئنا لنكون حملاً يثقل كاهله وهو يحاول التخلص منه . . ولكن مشيئة الله وحكمته أطالت بقاءنا أنا وأختي في بيت أبينا من غير زواج، نعاني ما نعانيه من تفرقة وتحقير أمام القريب والغريب، ووالدتي تحاول

جاهدةً أن تخفّف عنّا وتصرّ على أن تبعث الثقة والإرادة، والحبّ في قلوبنا كلّما حاول تحقيرنا.

بل وعلى الرغم من كل ذلك ظلّتْ تزرع في قلوبنا حبّ الوالدين معاً، وتؤكد لنا أنه لا يوجد في هذا الكون أب لا يحب أبنائه، ولكن والدي لا يعرف كيف يظهر حبه لنا، وهو لا يقصد إهانتنا، ونحن تَعَلَّمنا طاعتهما في كل شيء لأنهما في طاعتهما تقرباً إلى الله وأماناً من سخطه ولأن هدفهما الأساسي هو إسعادنا وإرشادنا إلى كل ما هو خير.

وكذلك زرعتْ والدتي حبّ الإيمان منذ الصغر فكانت تدعونا لأداء بعض العبادات كالصلاة والصوم وغير ذلك، فهي التي علمتنا وعلّمتْ أبي الالتزام والمواظبة على الصلاة والصيام، لأنها كانت على يقين من أن هذا الإيمان سيقوي من إرادتنا وحبّنا لهما وسيبعث الأمل والثقة في نفوسنا بأن رحمة الله واسعة، وأن الإنسان مهما ظَلَمَتْه الظروف أو لاقى مثلما لاقتْ هي من الأذى فإن الله لن يتخلّى عنه ما دام على صلة به، وإيمان كامل بفَرَجه القريب ونصره المؤزّر **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[1].

ولله الحمد كان الله دوماً معنا يخفّف عنّا سوء معاملة أبينا حتى تاب عليه وهداه ليرجع إلى نفسه ويحسن معاملتنا، خصوصاً بعد أن كبرنا وأصبح أخوتي رجالاً، فصار يشعر بالخجل إن بدر منه ما لا يليق من تصرفاته معنا، وأصبح يعامل أخوتي كصديق لهم يحنو عليهم وينصحهم ويرشدهم بالكلمة الحسنة والمعاملة الطيبة، والأهم من ذلك كلّه أصبح يحترم أمي، ويقدّر كل ما ضحّتْ به وتضحّي من أجله وأجلنا، لنصبح خير ذرية لهم **﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[2].

---

١ ـ سورة محمد: الآية ٧.

٢ ـ سورة يوسف: الآية ٩٠.

الدور التربوي
للمجالس الحسينيّة

لا أخفيكم سراً، إن شدّة حرص أمي على حضور مجالس الوعظ الحسينيّة القيّمة التي نستلهم فيها الدروس والعبر والمواعظ التربوية كانت خير مربٍّ لوالدي ولنا نحن على حد سواء.

فقد كانت تلك المجالس مدرسة شاملة لجميع العلوم، وتخاطب جميع المستويات، وتربي جميع الأعمار، من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير.

وقد كانت بالنسبة لنا هي المدارس الحقيقية التي كنّا نشتاق لها ونحرص على حضورها من أول يوم يقام فيها عزاء سيد الشهداء عليه السلام.

ولولا حرصنا هذا على الحضور لما عرف أبي أن الرحمة واجبة على الأب وأن عليه احترام زوجته وحسن معاشرتها وتقدير دورها الذي تؤديه في سبيل تنشئة أبنائهما تلك النشأة الصالحة التي تضمن لهم العيش الكريم وتخلّد أسمهما بعد وفاتهما ـ أطال الله لنا في عمرهما ـ كما أنه عرف مكانة البنت وكرامتها في بيت أهلها وكيف جعل الله في وجودها البركة، وأمر بوجوب رعايتها ومنحها الحنان والحب والرحمة لأنها أمانة من الله يجب الحفاظ عليها، ولكونها مخلوق ضعيف يحتاج إلى الرعاية والحنان، فيجب عليه أن يتقي الله في تربيتها وفي اختيار الزوج الكريم الذي يرعاها ويخاف الله فيها، ويحنّ عليها ويحبها . . .

وبالنسبة لي فقد كان لهذه المجالس الأثر الكبير في نفسي فقد كنت أتفاعل معها، بل وأنني عند عودتي إلى المنزل كنت أعيش تلك الفواجع التي صبت على أهل البيت عليهم السلام . . بآلامهم ومصائبهم . . وأتصور أحداثها وكأنها تحصل أمام عيني، فأشعر بالمرارة والألم الشديدين.

كنت أحرص جداً على تلك المحاضرات التي كان يلقيها المتحدّث ويشرحها لنا، ولعلمائنا في ذلك المنّة، فجزاهم الله خير الجزاء على ما يقدّمونه لنا من دروس إصلاح وهداية ونور لتبصيرنا وإرشادنا إلى الحقائق، التي شوّهتْها كتب التاريخ كالتي صبت في مناهج المدارس والجامعات حيث كانت تشحن عقولنا بانتصارات هارون الرشيد، وكيف أن عصر الإسلام كان في أوج قمته وازدهاره في عهده، حتى أنه سمي بالعصر الذهبي، وأنه كان يحج سنة ويحارب في سبيل الله سنة حتى شهد عهده أعظم الفتوحات، وغيرها من قصص التحريف والتزوير التي كانت تحاول أن تحجب عنا المصائب ودوائر الخيانة والخداع والخبث التي كانوا يحيكونها ضد أهل بيت النبوة عليهم السلام . . ومطاردتهم لكل علوي من أهل البيت عليهم السلام، ومحاولات القمع والإبادة الجماعية التي كانوا يقومون بها طوال تلك السنين ليمحوا سيرتهم الطاهرة العطرة من التاريخ، وليخفوا حقيقة أطماعهم ونواياهم الدنيئة وحقدهم للإمام علي عليه السلام الذي ظلّ الجهلة والفاسقون يسبّونه ويشتمونه على المنابر عند كل خطبة أكثر من سبعين سنة.

وكذلك حاول بنو أمية وأتباعهم وأذيالهم من قبل أن يموّهوا الحقائق التي أبتْ مشيئة الله إلاّ أن تفضحهم وتظهر فجورهم وبدعهم وضلالهم بتخليد ذكرى شهداء الحق، وتبقى نفحات سيرتهم الطاهرة مكتوبة بأحرف من نور تسطّر أعظم مواقف الصمود والإصرار على إحقاق الحق التي عطّرت التاريخ الإسلامي على مرّ العصور، وكلّما مضى الزمان زاد تألّق

أهل البيت ﷺ، وزادت معرفة الناس بمكانتهم التي زادت شموخاً ورفعة لكل ما عانوه وما بذلوه في سبيل إنقاذ الأمة، وإرشادها إلى الحقيقة التي طالما اجتهد أئمة الضلال في طمس أعلامها، وخنق أصواتها.

ولولا حكمة الله التي كتبت لمجالس الحسين عليه السلام الاستمرار لبقينا جاهلين غافلين عن اكتشاف هذه الحقائق التي حرّفها المارقون ولا يزالون إلى يومنا هذا، ولكن هيهات أن يصلوا إلى أهدافهم الدنيئة ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[1].

وإني لأسأل الله أن يعظم الأجر لوالدتي التي زرعت كل هذا الحب والولاء لأهل البيت ﷺ الذي كان له عظيم الأثر في تربيتنا وأخلاقنا، وأسلوب حياتنا وطريقة تفكيرنا وتعاملنا مع الغير، كما وأسأله أن يعوّضها عن كل ما لاقته في حياتها من عذاب وجراح وآلام، وأن يطيل عمرها لتفرح وتطمئن على مستقبلنا، ويجعل الجنّة تحت قدميها الطاهرتين المتورّمتين من السهر على راحتنا والجهد المتواصل لإسعادنا، وأن يبني لها قصراً في عليّين على كل ما ضحّت به وبذلته في سبيل تربيتنا التربية الصالحة التي أوصى بها الله الوالدين.

ومرت السنون علينا وكبرنا وسار كل واحد منّا في طريقه الذي خطّه له القدر، حيث تزوجت أختي الكبرى من رجل محترم، ورزقها الله ذريةً صالحةً، والتي تصغرني أيضاً تزوّجت هي الأخرى من رجل طيّب ورُزقت بذرية طيبة، وأمّا أنا فقد شاء الله أن أكمل دراستي رغم الصعوبات التي واجهتني وأسرتي، وإن كنت أتمنى أن أتزوج كأختيّ فأتخلص من تعاستي الأسرية، لكن الله لم يأمر بعد لحكمة منه ـ أنا أجهلها طبعاً ـ وأحمده على

---

١ ـ سورة الأنفال: الآية ٣٠.

ذلك وأنا مؤمنة أشد الإيمان أنّ ذلك خير لي[١] .

وهكذا مضت الحياة وأخذت الدنيا تبعّد المسافات بيننا ، فالكل قد يسّر الله له طريقه إمّا في الزواج أو الدراسة ، أو العمل بعد زمن طويل من العناء والصبر المرير ، بسبب ظروف الحياة الصعبة ، والقوانين الوضعية التي فرضها علينا الإنسان تحت شعار المصلحة العامة لإرضاء مصالحهم الخاصة .

وأما بالنسبة لي ولأسلوب حياتي الاجتماعية وطباعي ، فقد كنت حسنة النوايا ، وحسنة الظن بالناس جميعاً ، وكنت أعامل الكل بكل طيبة لدرجة أنها كانت نقطة ضعفي التي كثيراً ما كانت مصدر استغلال الغير لي في تحقيق مآربهم ، وسوء نواياهم التي ـ للأسف ـ لم أكتشفها إلاّ بعد فوات الأوان ، وقد كانت تسبب لي الألم ، والندم كثيراً والتي مازلتُ أعاني منها إلى الآن .

كما كنت ذات طبع هادئ . . لا يُسمع لي صوتٌ في المنزل حتى في آلامي ، فقد كنت لا أظهر الألم ، ولا أبدي الشكوى خوفاً على مشاعر والديّ الذين كانا يعانيان الكثير من المتاعب فلماذا أقلقهما بمتاعبي وآلامي ! ولم أكنّ الكراهية يوماً لأحد قط ، حتى للذين كانوا يسببون الأذى لي ، بل كنت حين يمسني ضرّ أو أذى من مخلوق أسلّم وأفوض أمري فيه إلى الله ، لأنني مؤمنة أني مخلوق ضعيف ، وأن انتقام ربّ العالمين هو أكبر وأعدل ، وهو الذي يأخذ بظلامة المظلومين ، وأمّا أنا فلا حول ولا قوة لي إلاّ به ، والله يعلم بطهارة قلبي وصفائه من أيّة أحقاد .

وكانت طباعي هذه تزعج وتقلق والديَّ لأنهما يعتقدان أن صاحب هذه الصفات لن يستطيع العيش بأمان في هذا الزمن ، وأنّه لابد أن أكون

---

١ ـ المؤلفة الآن متزوجة من رجل صالح وطيّب وينعمان بالسعادة معاً والحمد لله.

«ذئباً» كي لا تفترسني الذئاب، وربما كان والداي على حق - أحياناً - إذ أنه كان عليّ أن أكون أكثر حذراً وقوةً، وأقل تساهلاً وليناً مع الناس حتى لا يظنوا بأني لقمة سائغة فينالوا مني، أو يحاولوا خداعي أو إيذائي، ولكنني لم أعِ ذلك في حينه.

وأمّا عن حياتي التعليمية، فقد كان النجاح في دراستي شغلي الشاغل وهدفي الوحيد الذي كنت استميت من أجل الحصول على أعلى مراتبه بفضل تشجيع والديّ لي دوماً، وحرصهما الشديد على العلم لأنه الثروة الحقيقية التي مَنّ الله بها علينا، فلا مال ينفع ولا ولد يشفع، والعلم والإيمان هما السلاح الوحيد الذي يحمينا من غدر هذا الزمان وشروره.

وقد كانت هذه الثروة محل حسد بعضٍ من معارفنا لتمسكنا بها، ومحط سخرية آخرين لاعتقادهم بأن العلم وحده لا يكفي، ولن يغير شيئاً في حياتنا أو يحسن من وضعنا، ولم يؤثر ذلك - ولله الحمد - على تحصيلنا العلمي فقد كنا مصرّين على أن نكون من المتفوقين بتوفيق من الله ﷻ.

فظل والداي يحثاننا على مواصلة التعلّم، وصارا يفرشان لنا المستقبل الزاهر الذي ينتظرنا بالورود والأماني المليئة بالأمل، ونحن نتعلّم ونحلم بكل براءة ومثالية.

إلى أن وصلتُ إلى المرحلة الثانوية بعد كثير من المثبطات والمتاعب في تعاملي أنا وأختي مع زميلات وزملاء الدراسة حيث كانوا دوماً يسخرون منّا بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي فُرضت علينا، وكانت المعاناة بالنسبة لنا هي: لعنة الطبقية في مجتمع يفترض أن يكون مبنياً على أساس التشريعات والقوانين الإسلامية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] لا على

---

١ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣.

قوانين الجاهلية التعسّفيّة، والتفرقة الطبقيّة وموازين العنصرية الجائرة التي ابتليت مجتمعاتنا بها في هذا العصر.

وكان اللطف يتنزل علينا من الله رحمةً بنا، وحفظاً لنا من ألسنة الناس الحداد، وبتوفيقه لنا في أمور الدراسة، ففي الحديث الشريف: **(العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)**[1]، **﴿... وَمَا تَوْفِيقِي إِلاّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**[2].

---

١ ــ مصباح الشريعة: ص١٦.

٢ ــ سورة هود: الآية ٨٨.

الجامعة
منطقة الخطر

ومع كل تلك المعاناة شاءت إرادة البارئ أن يكتب لي النجاح والتوفيق في الالتحاق بالجامعة ، وبرغم شدة المتاعب التي صارت تلاحقنا مع زيادة حجم المسئولية التي علينا أن نتحملها وخصوصاً في مرحلة الجامعة حيث العالم الجديد والغريب والمستقبل المجهول الذي ينتظرني ، وكم تعثرت خطواتي كما هو الحال في بداية كل مرحلة جديدة من حياتي .

حينها كان أمر الحجاب يشغل تفكيري لخوفي الشديد من المرحلة القادمة ، ولحاجتي إلى ما يحصنني ويحميني من مغريات الدنيا وما يمكن أن ألاقيه من مصاعب قد تعترض سبيل دراستي ، وتمنعني عن بلوغ الهدف الذي من أجله كافحت للوصول إليه .

وكانت أهم هذه المتاعب التي كنت أخاف أن أبتلى بها هي مسألة الاختلاط ، فقد كنت في قمة الخوف والقلق من هذا الأمر ، وكنت أفكر دائماً بالحجاب لأدخل معترك هذه الحياة الجديدة وقلبي مطمئن .

إلاّ أن أمي كانت تشعر بالضجر وعدم المبالاة حين أقول لها : أني أريد أن أتحجب ، لأنها كانت خائفة على مستقبلي فيما لو تحجبتُ تقلّ فرص زواجي ، كما هو التصوّر السائد ـ خطئاً ـ في مجتمعنا الذي يضج بكثرة العوانس ، أو ربما أنا لم أكن أحسن اختيار الوقت أو الأسلوب المناسب في شرح تلك المسألة لها .

وكان قلقها على أخي أكبر، إذ قد شغل كل تفكيرها ووقتها وحياتها، فهو الولد الأكبر ولأنه كان مقبلاً على الزواج ويريد أن يعمل بعد التخرج من الجامعة ليصبح مسئولاً قادراً على بناء ورعاية أسرته.

هكذا بدأت هذه المرحلة الجديدة في حياتي بتخوف شديد، وصارت العثرات أكبر لأنني أصبحت أكثر نضجاً مما يستلزم أن أتحمّل مسئولية أكبر من الناحية العلمية حيث الدراسة والنجاح والتخرّج، ومن الناحية الأخلاقية والاجتماعية في أسلوب تعاملي مع الغير ومحاسبة تصرفاتي.

لعنة الاختلاط

لعل من أكبر المخاطر التي تواجه الطالبة في بداية مرحلة دراستها الجامعية هو خطر الاختلاط، والذي كنت أترهّب منه شخصياً، حيث أن الحرم الجامعي، وفصول الدراسة، وقاعات المحاضرات تكون مشتركة تضمّ الطالب والطالبة معاً، ـ وللأسف ـ فقد ابتليتُ بهذا الخطر وانجرفت وراء تيّار ومغريات صديقات السوء.

ففي البداية كنت أهتم بمذاكرتي، ونجاحي واجتياز المواد الدراسية المقررة بأسرع وقت ممكن، لأن الحال كان يتأزم في منزلي شيئاً فشيئاً.. ووالدتي قد أهلكها الأمل في تخرجنا، ومحاولة الاطمئنان على مستقبلنا لأن الوضع المنزلي العام كان لا يبشرنا بالخير.

فلم يكن لدينا أقرباء يحنّون علينا، ويشدّون من أزرنا بل كانوا أشد قسوة من الظروف التعيسة التي أحاطت بنا، بل وأكثر تثبيطاً لعزائمنا في مواجهة المصاعب.

وبالرغم من كل ذلك فلم نشكو يوماً حالنا لأحد ولم يطلع على متاعبنا أحد غير الله الذي كان يعلم بحالنا.

وهكذا كنت أواصل دراستي وأجتاز فصلاً بعد فصل بتفوق ونجاح، إلى أن بدأت ـ وبكل أسف ـ مظاهر الدنيا تخدعني ببريقها الخادع الذي بدأ يأخذني من بين كتبي.

حين أخذت فتيات الشيطان تستدرجني، وتزيِّن لي بعض الأمور التي

تُغضب الله، حيث لم أكن أشعر بخطورتها في ذلك الحين وأخذتُها على أنها أمور عادية لا تضر.

فالاختلاط وخصوصاً في مرحلة المراهقة من سن الشباب بداية الانزلاق نحو الوقوع بالمحظور ففي الحديث: **(ما من رجل خلا بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما)**[1] وهذه حقيقة.

---

١ ـ دعائم الإسلام: ج٢ ص٢١٤.

البداية ..
ورفاق السوء

وبدأت أنظر إلى شكلي الخارجي وأطيل النظر في المرآة أكثر فأكثر وأنظر لمن حولي بعد أن حاولت طوال تلك الفترة الانصراف والانشغال بدراستي لأتقي هذه المسألة، ولكن الصديقات أخذن يترددن عليَّ ويشجّعنني على الاهتمام بزينتي ثم يحرّضنني على وضع بعض مساحيق الزينة لأبدو أكثر جمالاً، وذلك لأن إهمالي لنفسي - حسب زعمهن - هو سبب تأخر زواجي فزماننا هذا زمن المظاهر.

وإذا كنت أريد الزواج لابد أن أظهر نفسي وأهتم بشكلي فالإنسان يهمه الشكل والمظهر أكثر من الجوهر.

أصبحن يلححن علي باسم الصداقة وشدة خوفهن على مصلحتي، وصدق مشاعرهن نحوي وغير ذلك من الأمور الزائفة، والخدع الوضيعة التي - وبكل الأسف - انطلت عليَّ وأخذتها بكل سذاجة كنصيحة يجب أن أعمل بها، وكيف تأتي وسوسة الشيطان الرجيم، أليس بطريقة تزيين عدونا في أعيننا[1]؟!

فهو لا يأتي بشكله الحقيقي القبيح وإنما بمظهر الصديق الناصح فيزيّن

---

١ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر: الآية ٣٩ عن لسان إبليس: ﴿قال رب بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾.

العصيان ويصغّر كبائر الخطايا في أعيننا الفاقدة للبصيرة، فنرتكب الخطايا الأكبر منها وهلمّ جراً.

ثم وبكل سذاجة كنت أحكي لصديقاتي عن ظروفي الخاصة، ولم أكن أعلم أنهن كن في داخلهن يستهزئن بي ويحاولن أن يضيّعنني ويشغلنني عن تحصيل العلم، وبلوغ الهدف الذي كنت أسعى للوصول إليه، وأنهن كن يردن في حقيقة الأمر أن يجعلن منّي وسيلة تسلية يقضون بها بعض الوقت، فلم أكن إلاّ الضحية التي لا تدري ماذا يُخبأ لها من خطر!؟

الجامعة
وضعاف النفوس

ومع مرور الوقت بدأتُ أكتشف - مع الأسف - أن الجامعة ذلك الصرح والمحفل العظيم لم يكن يعتبر المكان المخصص فقط لتحصيل العلم «الأكاديمي» والمعرفة، ولكن كان أيضاً يمثل بالنسبة لبعض الشباب ذوي النفوس المريضة وسيلة مثلى للترفيه، ومطاردة الفتيات، وأنه لبعض الفتيات الضعيفات الإيمان أيضاً معرضاً لأزيائهن وإظهار مفاتنهن، وكأنهن سلعة تُعرض للبيع والمزايدة، والمزاد يرسي على من يدفع أكثر بل وكان كل فصل جديد بالنسبة لتلك الفئة من الطُلاب والطالبات بداية موسم استعراض لأزياء، وسيارات فاخرة، وعلاقات غرامية مريبة بالخفاء وحتى في العلن متشبّهين بالغرب، وأمّا التحصيل العلمي فقد كان آخر هدف يتوخونه في الجامعة وما كادوا يهتمون به.

بل وكنّ يرددن أنه لا حاجة إلى أي شهادة! فما يملكنه من مال واسم مرموق وواسطات يوصلهن إلى أفضل الوظائف بكل سهولة ومتى شئن، وأنهن قد أتين فقط للتسلية ولقضاء بعض الوقت، بعيداً عن المنزل، ولتغيير الروتين اليومي الكئيب الذي يصادفهن كل يوم.

وأحب أن أذكر وأنوّه مرّة أخرى أن كل ما أذكره كان ولا يزال يحدث وأنا أبيّنه لك أختي العزيزة بصدق وأسف وألم وندم، علّنا نجد من يسمع هذه الكلمة، وينتبه إلى مشكلة عدم الاكتراث بالعلم وتحصيله، ومغبة

استفحال هذه الظاهرة في جامعات بلادنا الإسلامية ، ولخوفي من ضياع قيمة العلم الذي فرضه الله على أبناء هذه الأمة ، فقد قال الرسول ﷺ : (**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**)[١] .

ولخوفي كذلك على حرمة هذا الحرم الجامعي الذي قام صرحه لأسمى هدف وأنبل غاية ، أرجو أن يهبّ الغيورون على العلم والفضيلة ، ويتصدوا لهذه المخاطر ويقطعوا جذور الشر والفساد ، إن الجامعات عندنا تقضي على العقول المتفتحة البريئة القادمة لتلقّي العلم .

ولكي أجعلكِ أختي النبيلة أكثر وعياً ودرايةً بما يحدث في مخابئ المجتمع ، ومن منطلق حرصي عليكِ من الوقوع فيما وقعتُ فيه ، ولكي لا تتكرر المآسي التي رأيتُها في الحرمَ الجامعي ، أدعوك أن تكوني أكثر ثقةً بنفسكِ وحذراً ممن حولكِ ، وأن لا تتأثري بكل ما يُقال لكِ وأن تتحرّي الحقيقةَ في كل ما تسمعين ، ففي بوجه كل من يحاول أن يجركِ إلى الخطيئة تحت شعار الصداقة والمحبة وغيرها من هذه الشعارات الخدّاعَة والكلمات المعسولة الماكرة .

فأنت والله جوهرة نفيسة أطهر من أن تدنسي أو تهدري كرامتكِ التي حصّنكِ اللهَ بها ، والتي هي مصدر فخركِ وعفافكِ .

أَسأل الله أن يحفظكِ من كل شَر ، وأن يَديم عليكِ نعمة الستر والشرف .

أما أنا فقد كنت آنذاك في ريعان الشباب والعزم والقوة والاندفاع والتهور ، ولا أعلم ما الذي يحصل لي ، لماذا أنا منجرفة إلى هذه الأمور بهذه الطريقة ، وماذا سأجني؟؟!

---

١ ـ مجموعة ورام: ج٢ ص١٧٦ .

كنت أسمع كلام صحبة السوء من غير وعي أو تفكير أو إدراك إن كان ما أفعله صواباً أم خطأ، ولم يكن عندي أي بُعد نظر لما قد يؤول إليه حالي إذا استمررتُ على هذا المنوال! ومن لحظة اهتمامي بهذه الأمور التافهة التي جعلتُ لها معظم وقتي، غلبتْ عليَّ ملامح الكآبة والقلق واليأس دائماً، وكأني مضطرّة للجري وراء تلك التفاهات في المحافظة على شكلي الخارجي ومتابعة صرعات الموضة التي شُغلنا بها نحن الفتيات وصارت من أولويات أعمالنا.

والله يشهد أنني كنت بنفس الوقت أشعر في قرارة نفسي أن هذه ليست طبيعتي وليست مبادئي ولا هي أخلاقي الحقيقية ولكن الوسواس الخنّاس ـ المتمثل في تلك الثلّة البائسة ـ قد جعلني أشعر وكأنني مسحورة شاردة الذهن لا أعي ما حولي، فهو يحاول أن يشدني إلى بئس المصير بتزيين عدوّي لي، ومحاولة إبعادي عن سواء السبيل.

وأعترف هنا بأنني قد ارتكبت بعض الحماقات وبعض المعاصي التي تشعرني بالخجل ـ حين أذكرها في هذا البحث ـ لولا حثّ معلّمي الذي هداني بفضل الله إلى الطريق الصحيح، أن أذكر بعضاً منها للعبرة والعظة.

فمن ذلك مثلاً ما كان يحاوله الشباب من التقرّب إليَّ وبدأتْ نظرات الذئاب تتجه نحوي، وتوهّمتُ بأنني سعيدة بهذا الوضع، وكم أشعر الآن بالتقزز والاشمئزاز عند تذكّره، كنت أتصوّر بعقليتي الواهمة أنه يمكن أن يكون ذلك سبيلاً لتحقيق أمنية الزواج، وأنتقل إلى بيت الزوجية فيخفّ الحمل على والديَّ وأتخلص من همومي وقلقي وخوفي من سنين عمري التي تمضي بسرعة دون أن أرزق بزوج يحنو عليَّ ويسترني في عشّ يغمره الدفء والحنان، هكذا كانت تصوّراتي السرابية التي لم تكن سوى سقوط في قعر الفشل بعكس ما كان الأمل.

أهذا شريك الحياة؟

هكذا ـ وبكل أسف ـ صار اهتمامي بمظهري الخارجي، وشغلتُ بصديقاتي ونصائحهن في الأزياء والموضة وغيرها من التوافه، لأن ما يحصل في أيامنا هذه أن المظاهر صارت من أهم مقاييس الزواج فأوّل ما يلفت نظر الشاب للفتاة هو شكلها الخارجي، ومستواها الاجتماعي ولقب عائلتها حتى يضمن لنفسه الحياة المترفهة والسعيدة، ولا يهم ما يأتي بعد ذلك، وأنا لا أعمم هذه الظاهرة على الجميع، ولكنها واضحة في بعض الناس وكثير من الذين صادفتهم شخصياً.

بينما نجد هناك الكثير من الفتيات المخدرات العفيفات القارّات في بيوتهن، ربما لظروف فقرهنّ أو أنّهنّ لسن من العائلة الكذائية أو غير ذلك من الظروف والعادات التي فرضتْ على الكثير منهن وحرمتهن من السعادة الزوجية.

كما أن هناك الكثير من الشباب الثقاة المتعففون الذين لا يطلبون إلاّ الستر والتوفيق من الله ﷻ ولكن الفتاة لا ترضى بهم لأنهم فقراء أو لا ينتمون إلى عائلة مرموقة أو أن راتبهم بسيط، وخصوصاً عندما تكون الفتاة على مستوى عالٍ من العلم والثقافة، فكيف سترضى بمن هو أقل من مستواها! أو أن يكونَ الرفض من العائلة نفسها ـ سواء عائلة الشاب أو الفتاة ـ التي لا ترضى إلاّ بشخص ذي مستوى معين، فتضع شروطاً تعجيزيةً تنفر طالبي الزواج بين هذه العوائل، وهي لا تعي حجم الكارثة

التي تسبّبها لأولادها عند الحيلولة دون تزويجهم، أو حين تسيء اختيار الأزواج الصالحة لهم على أساس القيم الدينية والأخلاقية.

فبربّكم أين الحكمة؟ وأين التعاليم الإسلامية التي تحثّ دائماً على تعجيل الزواج وتسهيل شروطه؟ وأين الإيمان بقول الله ﷻ: ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[1] وأين ثقتهم بالله ﷻ؟!

ألا يعي أولئك نتيجة تعنتهم وبعدهم عن تلك التعاليم السامية لديننا وما يحدث في واقعنا الآن، وما نعانيه نحن من آثاره السيئة؟! وإلاّ فمن أين جاءت مشاكل العنوسة، وعزوف الشباب عن الزواج، ومشاكل الطلاق وزيادة نسبته في مجتمعنا الإسلامي؟؟!

فالأخلاق الحسنة والعائلة المستورة المتواضعة لم يعد لها أية أهمية في مجتمعنا هذا، وإن المظهر الخارجي العام هو الذي يهيمن على الشباب فهم يحبذون الاقتران بالفتاة على هذه الأسس.

وقد كان كل أملي أن أكون مستورة مع زوج صالح يرضى الله عنه، لهذا السبب كنت دائمة القلق والتفكير بالمستقبل وهذا هو الهدف الذي غفلتُ عنه، وجلبت الغفلة حسرة . . .

إن ما صرتُ فيه هو البؤس والشقاء بعينه، حين تبين لي بعد ذلك أن كل نظرة كانت تلاحقني ـ وأنا أفرح بها ـ إنما كانت تثقلني بالذنوب، وتسقطني في هوَّة المعصية شيئاً فشيئاً، وتزيد من غضب الربّ عليَّ وما تزيدني إلاّ رهقا، واليوم أصبحتُ أعي كم كان الله قد صبر على تمرّدي ومعصيتي، فقد كنتُ أتمادى في الخطيئة «وكأن لي التطوّل عليه» والعياذ بالله، كنت أرتكب المعصية وكان يسترني ويرحمني ويلطف بي.

---

١ ـ سورة النور: الآية ٣٢.

السافرة..
سلعة للعرض مجاناً

وقد مرّت عليَّ مواقف كادت ستنتهي بي إلى الوقوع بشباك الإثم، لولا رحمة الله بي ولطفه الكبير بحالي في تلك اللحظات العصيبة، لعظم ما تقترفه يداي من المعاصي.

أحسست كأنني شاة أعجبتْ ذئاباً دنيئة وهي تريد افتراسها لتشبع وحش الجوع في أنفسها الضعيفة.

نعم كدتُ على وشك أن أكون سلعة رخيصة للعرض بل ومجاناً، مسموح لأيّ كان أن يقلّبها ويتفحّصها، ولم أكن سوى وسيلة لتهييج النفوس المريضة والعفيفة على حد سواء.

فأمّا النفوس المريضة فقد كانت تحاول افتراسي ولا ترى من رادع ولا وازع، وأمّا النفوس العفيفة فقد كنت أسبب لها الآلام وأشحنها بالحرمان، لأنها تتألم ولا تريد أن تعصى الله ﷻ.

فلبئس التجارة كانت «تجارة الذنوب والشهوات»، ولنعم الربّ هو الله الذي أنقذتني رحمته من الوقوع في تلك الطامَّة، ولولا رحمة ربّي لكنتُ من الخاسرين والهالكين في الدنيا والآخرة.

الندم توبة ...

· وأنا اليوم بعد اليقظة والندم والتوبة إلى الله، أعترف أنني كنت مذنبة بحق نفسي وبحق كل إنسان سببت له البؤس والألم والحرمان، وإني أشكر الله ربّ العالمين خالقي وبارئي، فحين سألته أجابني ونجاني وأكرمني، وحين طرقت باب مغفرته وجدت مغفرته أوسع من ذنوبي.

الله أكبر، كم أحسست بالحقارة والدناءة والوضاعة على ما فرّطتُ في جنب الله! لقد كانت مشاعري مضطربة وسياط الضمير تمزّقني من التأنيب خصوصاً لما كنت أقف للصلاة أشعر وكأن صوتاً بداخلي يهتف أنت كذّابة! مما جعلني أبتعد حتى عن الصلاة لفترات متقطعة، إلاّ أنني كنتُ أحس في ابتعادي عنها وكأن روحي تنتزع من جسدي انتزاعاً **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾**[1].

فلم أجد إلاّ دعوة من فطرتي تنادي: تعالي وعودي إلى الصلاة، ولا تزيدي من المعاصي، لقد لمستُ بقلبي معنى الآية القائلة: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[2].

إن من رحمة الله عليَّ أنه منّ عليَّ بالضمير اللوّام الذي كان دائماً

---

١ ـ سورة طه: الآية ١٢٤.

٢ ـ سورة الزمر: الآية ٥٣.

يوقظني من غفلتي ويوبخني لسوء فعلتي ، وكم أرجو منه ﷻ العفو والمغفرة لعظيم ذنبي وعميق غفلتي .

نعم إن ما كان يحصل لي كان شيئاً رهيباً ، وكأنني كنتُ أنزلق في واد سحيق أو بئرٍ عميق لأن قلبي كان مغفلاً عن رؤية النور مما يؤدي بالإنسانَ أن يتيه في صَحراء مليئة بالوحوش والضباع .

لكنني وبرغم ذلك كله تماديتُ ، وعلى إرادة الله تمردتُ ، كم كنت قاسية مع نفسي ، ومغلوبة أمام هواي ، أنا العاصية المتمردة الغارقة في بحر الخطايا والذنوب ، فلا أعي هذه الحقائق الواضحة وهي محيطة بي من كل جانب ، إن الله يراني وأنا أعصي ، يراني وأنا أظلم نفسي . . بل وغيري ممن أسبّب لهم العذاب والقهر بسبب إبراز مفاتني أمامهم . . .

كان الله يرعاني ويشفق عليَّ وأنا أزيد في إعراضي ، وأرمي نفسي بالتهلكة .

الله الذي كان ولا يزال ينزل علينا الرحمة والنّعم والخير كلّه ، ولا يصعد منّا إليه إلاّ الذنوب والشرور ، فهو يجزينا بالإحسان ونحن نقابله بالإساءة ، يا لنا من مجرمين !

إلهي اغفر لي فقد تبتُ إليك بعد تفريط في ظلّ عفوك وحلمك العظيمين .

النصيب الحلال والوسيلة المحرمة

الآن وأنا أستحضر تلك الذكريات التعيسة والمريرة والمخجلة أحس وكأنني كنت أعيش في كابوس مخيف سنين طوال دون اكتراث من أنني قد أقع فريسة للذئاب البشرية التي كانت تريد التهامي.

الله أكبر، كم كنت عديمة الإحساس والشعور! كم كنت ساذجة وكم كان تفكيري بليداً!

أبهذه الطريقة الحقيرة سأرزق الزوج الصالح؟

فهل يأتي الرزق الحلال بالوسيلة المحرمة؟!

وما نفع ثقتي بنفسي التي كنت أتظاهر بها بين زميلاتي، والتي كنت أعتقد أنني ما دمتُ طاهرة القلب فلا يهمني أن أكون سافرة أو محجبة؟

وكيف تكون هناك طهارة قلب وصفاء نية مع ارتكاب المعاصي والموبقات في نفس الوقت؟!

وكم أحس بالندم لعدم إدراكي لهذه الحقيقة إلاّ مؤخراً! كم أشعر بالمرارة التي يضج منها قلبي، وتضيق بها نفسي وعذاب الضمير الذي يكاد يفتك بعقلي.

صحوة الضمير

لقد أدركت حينها أن الله لا يظلم الإنسان ولكن الإنسان هو الذي كان لنفسه ظلوماً حينما أبتعد عن الرشد في المنظور الحقيقي له، **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[1].

نعم إن «الاعتراف بالخطأ فضيلة»، بيد أن اعترافي هذا ليس فضيلة مني بقدر ما هو رجاء من الله أن يغفر لي، وعبرة لكِ أختي المسلمة فعسى أن تنتفعي من تجربتي هذه.

أعترف أمام الله بأنني كنت ضالة وعاصية ومذنبة، كما أنني لست ممن يلقي أخطائه على عاتق الظروف أو القضاء والقَدَر، كلاّ، بل أنا التي صنعتُها بيديّ **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ مَا رَحِمَ رَبّي﴾**[2].

ولولا أن تداركتني رحمة الله لكنتُ فعلاً من الهالكين الضائعين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

والحمد لله أن عدتُ إلى رشدي، رغم تأخّره الذي سبّب لي التأخّر في دراستي التي أهملتها، ففي طريقي إلى الضياع والحرمان من إكمال دراستي والحصول على الشهادة، كنتُ أشعر باليأس الممزّق، فقدت الأمل بالحياة بعد تلك الكارثة التي كانت على وشك الحدوث، حتى جاءت

---

١ ـ سورة النحل: الآية ١١٨.

٢ ـ سورة يوسف: الآية ٥٣.

الصفعة التي أيقظتني على الحقيقة المُرّة، أيقظتني على سموم المستنقع الذي كنتُ غارقة فيه وقد كنتُ أظنّه نقيّاً من الآفات.

لقد كنتُ واقفة على شفا جرف هار من ناحية، وخاسرة الدراسة الجامعية من ناحية أخرى، ولذلك نالني من الحُزن والشعور بالذنب ما أخذ مني مأخذاً عظيماً.

وقد كان هذا الشعور دوماً ينتابني كلما اقترفت ذنباً، فحين أعود بعدها إلى منزلي أحس بحمل يثقل كاهلي ويسبب لي القلق والأرق كلّما حاولتُ الخلود إلى النوم، كنتُ لا أستطيع أن أنام إلاّ ودموعي تغمر وسادتي، باكية العين، مقهورة القلب، مسلوبة العقل، حين يتراءى ويتّضح لي قبح أعمالي وتجاوزاتي، ناهيك عن المتاعب الصحية التي بدأتُ أعاني منها بسبب لهثي وراء المظاهر الفانية من ناحية، وعذاب تأنيب الضمير من ناحية أخرى، وتلك الأسئلة التي كانت دوماً تصرخ في أعماق وجداني وتقول: لمَ تتصرفين كل هذه التصرفات التي ليست من طبيعتكِ؟!

لمَ تحاولين أَن تقلدي مظهر فلانة وفلانة؟!

أَما آن الأوان كي تفيقي من غفلتكِ؟

أين الله في قلبكِ؟!

أين طبيعتكَ البسَيطة الخجولة التي جبلتِ عليها؟

ألا تخجلينَ من نفسك... ؟

نعم كل تلك أسئلة الضمير في قاعة من ضوضاء الصراع النفسي بين نزعة الخير والشرّ في داخلي كانت في الليل والنهار تأجج البركان في نفسي، لأنها حقّاً لم تكن من طبيعتي وأخلاقي إنما هو انجراف دون تبصّر أو تفكّر في العواقب التي ستترتّب على المضيّ في مثل هذه التصرفات المشينة.

كنتُ أحس أن شيئاً ما كان يجرّني إلى الهلاك وكأنني مسلوبة الإرادة، وقد كنتُ عمياء فعلاً، عمياء البصيرة والتبصر، وكما يقول الشاعر:

ما حاجتي للنور يملأ مقلتي ... وظلام نفسي مالئ آفاقي

السفور ..
متاعب صحية ونفسية

ومع كل هذا البطر وعدم الاهتمام والإجحاف بأنعم الله كان ربي يمهلني في معاقبتي، كي أصحو من غفلتي، وأتذكر الله خالقي، فربما كان انجرافي وراء الحرام هروباً من الظروف البائسة التي كنتُ أعاني منها في منزلي، وبسبب الإحباطات والإرهاصات التي كنتُ أضيق بها ذرعاً وأحاول تناسيها عن طريق الخروج، والانشغال بالأمور التوافه، فغدوتُ بنفس مستوى الفتيات اللاتي كنّ معي في الجامعة، وعرفت بعد الهداية ـ برغم ما تعلمته من الدراسة الجامعية ـ أنني كنتُ أكبر مغفّلة وجاهلة في هذه الحياة.

لقد كان منزلنا حينها يعج بالمشاكل العائلية مع أخوتي تارة ووالدي تارة، نعم كانت الخلافات كثيرة بين أمي وأبي والتي تحدثْتُ عنها في السابق، وكذلك الظروف الاجتماعية التي كنا نعاني منها، والتي جعلتنا نبتعد عن الناس ونغلق أبوابنا على أنفسنا حتى لا نصدم أكثر فأكثر.

كل ذلك جعلني في الواقع ذات شخصية متقلبة مهزوزة متوترة عديمة الثقة بالنفس وربما هذا هو سبب لهثي وراء المظاهر، أو لكي لا يعرف أحد من شخصيتي الحقيقية التي طالما كنتُ أحاول أن أخفيها خلف برواز التبرّج اللعين، ولا أسمح لأحد أن يغوص في أعماقي حتى لا تنكشف عيوبي والتي تشعرني دوماً بالنقص.

وقد كان هذا هو سبب تعبي النفسي والصحي ، فمن الصعب على الإنسان أن يحاول طوال الوقت بل طوال حياته التخفي وراء المكياج والملابس المنافية لأخلاق بيئته التي نشأ عليها ، وأن يحاول دوماً أن يكون عكس فطرته الحقيقية ، فهذا التخفّي المستمر يسبب القلق والخوف ويولّد صراع داخلي في نفس الإنسان ، فجزء منه يريد الرجوع إلى فطرته المتزنة الواثقة المطمئنة ، والجزء الآخر يحاول جاهداً تزيين الخطأ ، وإقناع النفس بأن الخطأ هذا لمصلحتها ، وأن الفطرة الحقيقية غير كافية للتعامل في هذا العصر ، فيتخيّل أن هذا التخفّي يزيد من قوة الإنسان ، وهو في الحقيقة يحطم كيانه ويؤدي به إلى الضعف ثم الانهيار حين يصل إلى مرحلة لا يستطيع التراجع عن الطريق المنحرف الذي سلكه .

نعم إنها الحقيقة ، وهذا فعلاً ما حصل لي ، فقد بدأتْ صحتي بالتدهور ونفسيتي بالتحطّم سنة بعد سنة إلى أن وصلتُ مرحلة اليأس من كل شيء ، وأضحى تعبي واضحاً على ملامح وجهي والبؤس قد أخذ مأخذه مني .

إلى أن وصلتُ سنة التخرّج وأنا على وشك الضياع والانهيار التام فحتى مستواي الدراسي قد تأثر بشدة ، فما عدتُ أهتم بذلك حتى تدهورت درجاتي العلمية وبدأتْ رحلة الاعتذار من أساتذتي ، ومحاولات يائسة لإعطائي فرصة أخرى لتحسين درجاتي ، وأخيراً اهتزّتْ ثقتهم النهائية بسبب إهمالي .

حتى في المنزل ، فقد تغيرت معاملة والديّ لي ، وكانت والدتي الأكثر قلقاً عليَّ ، إلاّ أن إحساس الأم وعاطفتها الصادقة لا تخيّب فهي جرس الإنذار الذي يخبرها بأن مكروهاً ما قد حدث لأحد أبنائها أو على وشك الحدوث .

نعم فقد بدأتْ تشك بسبب دوام صمتي، وبعض التصرفات التي هي على غير عادتي وشدّة اهتمامي بمظهري وإهمالي لدراستي، وكنت ـ للأسف ـ لا أتقبّل منها النصيحة لأنني حين دخلت حياة الجامعة صرتُ في عالم آخر، وما رأيته قد صدمني، فأوشك أن يحطّم كل أحلام المستقبل الجميلة التي رسمتْها لي أمي من قبل، وأصبحتْ الحياة في نظري كابوساً مخيفاً كلما أحاول أن أستيقظ منه لا أستطيع، ولزمتُ الصمت طوال الوقت ولم أخبر أمي عمّا كان يحدث لي.

وقد كان ذلك يسبّب لي الألم والعذاب فلا أريد أن أخيب أمل أمي أو أن أصدمها بتصرفاتي القبيحة، فأتسبب بما قد يؤثر على صحتها ويحدث لها ما لا يحمد عقباه.

وأصبح كل ما في حياتي يكتنفه الغموض الرهيب، وأنا أصبحتُ أخاف من هذا الغموض، وكم كانت تصيبني نوبات شرود كانت تثير شك والدتي، وبدأتْ ثقتها بي تهتز أيضاً، وهذا مما زاد من همّي وقلقي بالإضافة إلى تأنيب الضمير الذي يعذّبني نهاراً، ويحرمني من النوم ليلاً، فقد كنتُ أحس دوماً أن هناك شيئاً على وشك الانهيار، أو أن كارثة ما تنتظرني.

ولكن رحمته ﷻ كانت أكبر من خوف أمي عليَّ ومن يأسي القاتل، فقد ستر عليَّ ورحمني وهو لا غيره أهل للستر والرحمة، وهكذا وهبني العزم على المثابرة في المذاكرة، والانصراف إلى الدراسة لأنها كانت سنة هامة وحرجة من حياتي، وكل الحمد والفضل لله الذي أنقذني من هذا الكابوس قبل فوات الأوان، فبسبب رأفته بي وبأهلي بدأتُ أستعيد شخصيتي الإنسانية، وانفضّ من حولي من كُنّ يدّعين الصداقة بالأمس، وكأن تغيري هذا قد أزعجهن وما عاد يُرتجى مني أي نفع أو تسلية لهم، وهكذا يمكنني أن أقول بأن ذاك الفشل تجربة مريرة قبل الصحوة الأولى في حياتي.

الموت ..
جرس الإنذار

أمّا السبب الآخر لصحوتي فقد كان وفاة أعز صديقة لي في حادث سير مخيف بسبب السرعة والتهور، وكانت الصديقة الوحيدة الصدوقة معي حيث كانت محجبة ومتزوجة ولم تكمل دراستها وعملتْ في إحدى الهيئات الحكومية، وقد خرجت ذات يوم ـ وكان نهاية الأسبوع ـ تقود سيارتها بسرعة جنونية لم تستطع السيطرة عليها حين اعترضتها سيّارة القضاء والقدر التي كانت بانتظارها!

كانت صدمة رهيبة بالنسبة لي، فبالأمس كنا نتحدث ونضحك ونحلم ونتمنى، واليوم أراها متوسدة التراب، ولم يرافقها غير عملها فما أصدق الآية الشريفة: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]، كان وقع هذا الحدث الأليم شديداً على نفسي، وخصوصاً أنه وقع في أحرج مرحلة كنت أمر بها، مرحلة الشعور بالندم، ومحاسبة النفس، فاعتبرتُها تذكرة من الله لي فتذكرتُ المصير الذي ما منّا إلاّ وارده.

إلاّ أنني بدأتُ أسأل نفسي أسئلة كانت تشغل تفكيري ولكن لم أكن أقف عندها وقفة تمعّن وتيقّن، لها بالغ الأثر في تهذيب النفس وإصلاحها وتوجيهها الوجهة السليمة، وكم يكون الإنسان غافلاً حتى تداهمه الكارثة ثم يجلس الآخرون بعد موته يلطمون الخدّ حسرةً، والبعض الآخر يلوم القدر بكل تبجّح، وكأنه هو المسئول عن تصرفاتنا الحمقاء فنجعل أنفسنا في حِلٍّ من تحمل مسؤولية الخطأ!.

---

١ ـ سورة الأعراف: الآية ٣٤.

جحود النفس
رغم ضعفها

الله أكبر، ما أنتِ أيتها النفس الطاغية المتمردة، وما أنت أيها الجسد الذي نحتار كيف نزيّنه ومصيره جيفة تدسّ تحت الثرى، وبعد ذلك يغدو لدود الأرض موائد شهية! ولا ندري كم من الزمن سنبقى بعد الممات في عالم البرزخ! بل لا نعلم كم من الزمن سنبقى على الأرض!!

إن كان كل ما نفكر به هو: كيف أظهر جميلة في أعين الناس؟

كيف أحافظ على رشاقة جسدي ومن سيعجبه مظهري فيفوز بي؟

فكأننا ـ ونحن نتفاخر ونتباهى بأجسادنا الفانية ـ نملك أقدارها وليس خالقنا!

أما الروح ـ وما أدراك ما الروح ـ وما يزينها فلم نعطها أي أهمية وكأنه ليس لنا علاقة بأرواحنا أو كيفية المحافظة عليها من دنس الشيطان، وقبح الفواحش، فنجرحها ولا نبالي، والحال أنها هي الأصل في الإنسان، فإنها هي التي ستبقى بعد الممات وفناء الأجساد.

إن أرواحنا التي عهدها إلينا بارئها أمانة يجب أن نحافظ عليها! فلا نؤذيها بأجسادنا الملتصقة بالحرام.

فها هي صديقتي الآن تحت الثرى تحاسب عن أدق تفاصيل حياتها وأعمالها ولم تأخذ معها شيئاً سوى الخرقة البيضاء التي لفّ بها جسدها، ذلك الجسد الذي طالما كنا نصرف عليه المئات من الدنانير لنحافظ على

رشاقته، وليظهر بشكل جميل ومبهرج بأزياء الغرب الكافر المستعمر، وما أتعسها من أزياء فاسدة بعيدة كل البعد عن الحشمة، والوقار الذي أكرمنا به الله ونحن بجحودنا لتلك النعمة نرفضها، ونستبدل ما هو الخير بالذي هو أدنى.

وأمّا في القبر، فملكا الحساب «منكر ونكير» هما اللذان يعرفان الشكل الحقيقي لما تحت هذه الأثواب، فوظيفة الجسد قد انتهت، وقد جاء دور الروح التي كانت تحرّك هذا الجسد، والتي كانت تعاني من حماقاتنا ومعاصينا فتشكو إلى الله استهانتنا بها وبقيمتها الحقيقية، وبالهدف الذي من أجله خُلقتْ **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[1] فماذا سيكون يا ترى جوابنا؟!

بل وأكثر من ذلك، فإن الجسد نفسه سيكون أول من يشكو إلى الله من سوء معاملة صاحبه وعدم احترامه للهدف الذي من أجله خُلق، بل وتكون أعضاؤه أول شاهد على إثم صاحبها، فاليد ستقرّ بكل ما كان يقترفه بها صاحبها من معاصي وآثام، والقَدَمان سيشهدان ويقرّان على نفس الإنسان بكل ما سعى إليه من فواحش ومعاصي، وكذلك بقية الجوارح ستشتكي إلى الله وتشهد علينا وتقر بكل ما ارتكبته أمام الله **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[2].

ويا لهول ذلك الموقف! كم سيكون رهيباً وصعباً على الإنسان العاصي الذي نسي ذكر الله، وجحد نعمه وسلك طريق الباطل، فما يكون جزاء مثل هذا الإنسان التعيس؟! **﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾**[3].

---

١ ــ سورة الذاريات: الآية ٥٦.

٢ ــ سورة يس: الآية ٦٥.

٣ ــ سورة طه: الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦.

وقفة مع النفس

كل هذا الحديث بدأتُ أقف عنده وأحدّثُ به نفسي، فصديقتي ولله الحمد كانت ملتزمة بحجابها وهي في رحمة الله الآن، أسأل الله أن ينقلها من ضيق القبور إلى سعة القصور.

فقد كانت طيبة وطاهرة القلب مخلصة لزوجها وأهلها ولم تؤذِ أحداً في حياتها، وقد رأيتُها ليلة في رؤيا جميلة وقد كانت تبدو ضاحكة مستبشرة، وتدعو لي بكل خير، وتشكرني على مداومة ذكري لها وترحُّمي عليها.

أما أنا فكنت «سافرة متبرجة» وذلك يعني أنه لا فائدة من تعبدي وشكري إن لم أكن متمسّكة بأساس العبادة والتوبة، فحين أصلّي ثم أخرج سافرة وينظر إليَّ الرجال فإنّ كل نظرة منهم تُكتب إثماً أنا أتحمل وزره، وبذلك يحبط الله عملي.

إني أحس الآن وأنا أتكلم عن صديقتي وكأن الله قد جعلها مثلاً حياً أمامي لأعتبر بها، فقد كان وفاتها ـ رحمها الله ـ درساً لأتذكّرُ الموت وعذاب القبر وحساب اليوم العظيم والأهوال المذهلة.

ولذلك بدأتُ أستوعب الدرس وأعتبر منه، وكانت البداية، فبدأت أفكر . . . وبدأت أندم، ثمّ بدأت أبكي لخيبة أملي في نفسي وما صنعت بها وأي موارد السوء أوردتها.

خطوة نحو التوبة

في تلك اللحظة أحسستُ أن شيئاً بدأ يتّزن بداخلي ، وأن هناك قوة تصرع ضعفي وتدمره لحظة بعد لحظة ، وكأنني بدأتُ أشفى من مرض عضال ، أو يُكشف عني فعل ساحر مقيت لم أتبيّنه إلاّ بعد حين ، وكأن الحياة بدأت تدبّ في عروقي من جديد ، وكأن الدم بدأ ينفض سمّ الشيطان وعاد إلى صفائه ، وصار يجري في مسالكه الصحيحة من جديد .

أمّا روحي فقد كانت تتصعد وكأنها ترفض المكوث في هذا الجسد الآثم لولا العناية الإلهية التي احتضنتني وجعلت روحي تطمئن إليّ ، لتزيح عنه ذكريات معاصي الماضي .

بدأ كل شيء بداخلي يعود إلى مساره الصحيح . . بدأتُ أحسّ أنني أُخلق من جديد ، وأن الله يحب عباده ولا يريد لهم سوء المنقلب ، فهو أرحم الراحمين .

فقد عاد الأمل يشرق في قلبي من جديد بعد كل ذلك الشقاء ، أنه لازال هناك أمل في الرجوع إلى حضيرة الإيمان والفوز بمغفرة الله ورضاه .

ولكن لابد لي من الإسراع في محاسبة النفس على كل جرم ارتكبته وكل خطيئة أخطئتها . . وإصلاح الخطأ فوراً .

نعم يجب أن نستشعر الأمل فـ(لولا الأمل لبطل العمل) ـ كما قيل ـ فلا تقطعي رجاءك بالله ، فالله لا يخيب رجاء من يريد وصله .

كوني على يَقين أن الأمل بالله في النجاة سريع الاستجابة حتى ولو بقي في عمر الإنسان لحظة فـ ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] .

---

١ ــ سورة يوسف: الآية ٨٧.

الأمل والكفاح ثم ...

بدأتُ أكافح دون أن أعير أي اهتمام لذوي النوايا السيئة، واعتمدتُ على الله وقوة نفسي وطويتُ اليأس من ثنايا صدري، والحمد والشكر لله الذي أكرمني بالنجاح وأعاد ثقتي بنفسي، بل وأصبحت أفضل مما كنت عليه بالسابق، وازدادتْ عزيمتي ولململتُ أشتات روحي الممزقة من عذاب الضمير.

وبدأتُ أفكر من جديد بمستقبلي، وأنه لابد لي من العمل بعد إنهاء دراستي وتخرجي من الجامعة بنجاح كي أساعد والدي في طلب المعيشة ولأخفف عنه الحمل، فمعاناة وتعب السنين بدأتْ تغزو ملامح وجهه الطيّب، وأعباء وتكاليف الحياة التي بدأتْ تثقل كاهله، ولابد من حمل بعضها عنه.

وأمّا أخواتي فقد تزوّجتْ إحداهن بعد تخرّجها، وأما أخي الأكبر تخرّج وعانى وكابد ليجد عملاً مناسباً حتى وفّقه الله لعمل جيد، وبدأ يتحمل جزءً من أعباء الأسرة مما خفف على أبي بعض الحمل، وما زال باقي إخوتي طلبة يتلقون العلم.

أمّا أنا فلم يحالفني الحظ في إيجاد وظيفة تناسبني بعد التخرّج، فقبعت في المنزل فترة طويلة، ولم يسأل أحد عني طوال هذه الفترة، لا الأهل ولا الصديقات.

حتى عادت الوساوس لي ربما لكثرة ما أخلو بنفسي ولفترات طويلة،

حتى أن أهلي كـادوا ينسـوا أن لـهم ابنـة تتجـرّع آلامـها وأحزانـها ـ لما آل إليـه وضعها ـ وقد كانت هذه الوحدة والعزلة تذكّرني بمرارة تجربة الجامعة.

في مثـل هـذه الحالـة تبـدأ الكئيبـة تحـنّ إلـى أيـام طفولتـها، حـين كنـتُ أعيش حياتي بكـل بـراءة لا أفكـر بمـا سيجري غداً، ولا أحمـل كـل تلـك الأوزار، وجبال الذنوب التـي يتكـأدني حملـها الآن، ولا أستطيع التخلـص منـها، فقـد كنـتُ أحمـل ذاك الحـزن البـريء الـذي كـان بمثابـة بلسـم لقلبـي الجريح المتلـهّف إلـى رقـة المشـاعر والرحمـة والرأفـة علـى الضعيـف والمقـهور والمظلوم.

أصبحتُ من شدة اليـأس أشـعر وكـأن ليـس لـي مكـان في هـذه الدنيـا، وأنني مجـرد عبأ ثقيـل علـى أهلـي، فأنـا لا أصلـح لشـيء، ولا أعمـل لكـي يكون لي قيمتي ووزني ومكاني الصحيح في هذه الأسرة، كمّـا أنـه لـم يتقـدّم أحد لخطبتي فكلّما تقدّم العمر قلّـتْ فـرص الـزواج، وخصوصـاً للتـي مـرّتْ بمثل ظروفي.

ولربما كان ذلك هو عقابي الـذي أستحقّه لما اجترحتـه مـن السيئات في الماضي، ولكني كنتُ على يقـين من أنـها رحمـة مـن الله، وحتـى وإن كـانت عقاباً فأنا أستحق ذلك لعظيم تفريطـي في جنـب الله، ولابـد لـي العقـاب فأنـا مؤمنة بأن الله عادل حكيم، وهذا يشعرني بالراحة النفسـية لأنـه هـو العـدل، فمن يذنب لابد وأن ينال عاقبة فعله.

العقاب الدنيوي

رجوتُ من الله ﷻ أن يجعل عقـابي في الدنيـا إن أراد معـاقبتي ، وذلـك لاعتقادي بأن هذا العقاب يخفف من الذنوب ويمحوها في الدنيا والآخرة.

إن الله يريد لـي الهداية قبل فوات الأوان وإن كان قد مرّ عليَّ زمن طويل وأنا في ظلام السفور، ثـم ما يكـون عـذاب الدنيـا بالنسبة إلى أهـوال يوم القيامة الأبدية ، والتي لا يمكن أن يتصورها العقل البشري؟ .

أسـأل الله تعـالى أن يجعـل ما عانيتـه مـن عـذاب الضمـير كفـارة لمـا اجترحته من منكر في حيـاتي ، وأسـأله أن ينجينا مـن عـذاب القـبر ومخاوف يوم القيامة ، فلا طاقة لنا على ذلك **﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾**[1] .

وهناك حقيقة لابد لي أن أذكرها للعبرة أيضاً ، فالذكرى تنفع المؤمنين ، وهي أن عقاب الله في الدنيا قد يكون في حقيقة الأمر تكفـيراً لسيئات الإنسـان العاصي.

نعم ، هذا ما أحسُّ به ، فالإنسان معرَّض للخطأ بطبعه النـاقص ، ومـن رحمة الله عليه أن يبتليه بالغم والحزن عسى أن يكـون ذلـك رادعـاً ، وتذكـيراً له بحدود الله ، **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾**[2] .

أرجو من الله أن أكون ممن ارتدع ورجع إلى نفسـه حتى يرضى عنّا في الدنيا والآخرة وأن لا ينزل سخطه وغضبه علينا أبداً.

---

١ ــ سورة الحج: الآية ٢.

٢ ــ سورة البقرة: الآية ١٥٥.

حكمة الابتلاء

ثم إنني أمضيتُ سنين من عمري في المنزل ولم أجد وظيفة، وكل أقراني حصلوا على الوظائف التي يتمنونها من لحظة تخرجهم إلاّ أنا لم يحالفني الحظ، ولكن كان كل ذلك حكمةً وعدلاً ولطفاً قد شملني من الله ﷻ.

فبعد أول أربع سنوات من انتظاري اليائس للزواج، أو لوظيفة محترمة تناسبني ابتلينا في الكويت بالغزو الصدّامي الغاشم، الذي عاث في الأرض فساداً بكل وحشية وألم وعذاب قد سجّلها التاريخ بقلم الدماء والأسى، وأيضاً عانينا ما عانينا من الخوف، والقلق والألم واليأس من كل شيء إلاّ من رحمة الله التي كانت تشملنا دائماً وتخفف عنّا.

إلى أن انقشعت تلك الغمامة السوداء عن البلاد، وعاد إليها أمنها واستقرارها، وقد كان عندي كل الإيمان والثقة بأن ما حدث كان درساً من الله للناس ليتّعظوا ويراجعوا أنفسهم، وحكمة من الله ليمتحن قوة إيمان البشر بإرادة الله، واستمرارهم على الحق وصدقهم، وأنه من الذي يعبد الله على حرف، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

خلال هذه الفترة اجتمع شتات الأسرة وأصبحنا، كما هي طبيعة

---

١ ـ سورة العنكبوت: الآيات ٢ ـ ٣.

البشر عند الشدة أكثر تقرّباً إلى الله وإيماناً من ذي قبل ؛ وقد كنّا نشعر بلطف الله الذي ينزله مع البلاء فقد كنّا نعيش في سكينة وطمأنينة ، وثقة بالله أن دولة الظلم ساعة ودولة الحق كل ساعة ، وأنه لابد للظلم أن ينجلي برحمة من الله بالرغم من كل ما قاسيناه خلال هذه الفترة العصيبة ، فقد كانت أمورنا تدبّر من مدبّر الأمور ، ورزقنا يأتينا من حيث لا نعلم .

أمّا أنا فقد كنتُ أيضاً أكثر تقرّباً إلى الله ، وهذه المرحلة أستطيع أن أعتبرها مرحلة الابتلاء الصعب ، خصوصاً بعد أن حفظني الله من الضياع .

حتى وأنا مبتلية كنت أحس بوجوده في روحي وكياني فأتوجه إليه ، وذلك ما جعلني أحاول أن أكون عند حسن ظنّ الله بي في عبادته وشكره ليل نهار .

كنتُ أشعر بأن راحة نفسية عظيمة تسري في كياني وتحيطني بالدفء والحنان الإلهي ، ربما لطبيعة الظروف التي كنّا نعيشها فترة الغزو الصدّامي حيث كنّا لا نغادر المنزل ، وقد دبّ الذعر في قلب أكثر الناس في الكويت ، أمّا أنا فلم يتسلّل الخوف إلى قلبي نهائياً ، ولا أعلم لماذا ربما هو اللطف من الله واليقين في عدله ، والثقة برحمته هي التي جعلتني صامدة غير مهزوزة ، فقد كنتُ لأول مرة أشعر بهذه القوة رغم الذعر الذي حلّ بالبلد الآمن .

وحمداً لله أن اندحر العدوان ، وخابت آمال ذلك العدو في النيل من بلادنا ، وعاد الأمن يحيط البلاد من جديد ، وأشرقت شمس الحرية ؛ زال الكرب وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي ، وعاد الناس إلى أعمالهم ثم بعد انقشاع سحابة الغزو السوداء ، كنت منعزلة عن الناس ، معتكفة مع نفسي أتجرع مرارة الندم على ما فات من عمري في المعاصي ، وكان الانتظار والترقب لما هو آت .

نعم ، أنا كلّي ثقة بقضاء الله ولا أعترض على حكمه ، ولكن ما كان

يؤلمني هو شعوري بأنني لا أنتمي لهذا الزمن، أو لهذا المكان ولا أعرف ماهية هذه الأفكار الغريبة التي كانت تسيطر عليَّ، ربما لطول بقائي وحيدة في المنزل بلا عمل ولا هدف.

فهذه هي الطبيعة البشرية، وغريزة الاحتياج إلى السكن وغريزة الأمومة التي أوجدها الله في المرأة، والتي لا تستطيع أن تنكرها أو تخفيها مهما حاولت أن تتحدّى أو تعترض، وتدعي بأنها يمكنها العيش من دون النصف الآخر، فهي كائن ضعيف بحاجة إلى الرجل الذي يعني لها القوة والسكن والسند.

وكذلك الرجل لا يمكنه العيش من غير المرأة المخلصة الحنونة الحبيبة التي تضفي على حياته نوعاً من المحبّة والطمأنينة، فهما نصفان مكملان لبعضهما، وبهما تتحقق استمرارية وحفظ النسل البشري، وهذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا يمكن أن نعاند هذه الغريزة التي خلقها الله فينا لتستمر الحياة، **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[1].

---

١ ــ سورة الروم: الآية ٢١.

الصبر هو المفتاح

نعم، كنت أحسُّ بنوع من الحرمان والوحدة والضيق، كنت أسيرة الاضطراب النفسي الذي طالما أسهرني وأبكاني كل ليلة.

تصوّروا فتاة تعيش بمثل ظروفي كيف سيكون حالها؟! فالخوف من المستقبل، والاضطراب الذي كنتُ أعانيه، قد كان له الأثر السيئ على صحتي حتى جعلني أتردّد على المستشفيات، وصرت طريحة الفراش بعض الوقت، وحتى الصوم كنت لا أستطيع أن أكمله في شهر رمضان بسبب المضاعفات التي كانت تنتابني لسوء صحتي، فقد كنتُ أضغط على نفسي في العبادة محاولة الاجتهاد في أداء واجباتي نحوه ﷻ قدر المستطاع، مع ذلك كنتُ أتألّم بداخلي لشعوري بأن الله غاضب عليَّ، وأنا أستحق كل ما يحصل لي، وما أعانيه من آلام تحول دون مواصلة صيامي وتضرعي له.

هل ربّنا ﷻ يحتاج إلى صيامي وصلاتي؟

كلاّ، إنه غني عن عبادة البشر كلّهم، لكن لرأفته وبالغ حكمته أمرنا بعبادته، وفتح علينا باب الرحمة، ومَنَّ علينا بنعمة الاستغفار ليغسلنا به من الأدران، ومن دون أن نستغفره، ونذكره لا يتحقق لنا الخير منه، **﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾**[1].

ونصبر على البلاء ولا نيئس من رحمته، كما كان حالي حين وسوس

١ ـ سورة الفرقان: الآية ٧٧.

الشيطان وزيّن لي ما حرّم الله، فقد كان يحاول أن يبث اليأس من رحمة الله في قلبي لأصبح غير آبهة، ويتملكني شعور اللامبالاة فأعود لارتكاب المعاصي مرة أخرى فيحقق هدفه في إغوائي لكي أحيد عن الصراط المستقيم.

وهنا عليَّ أن أذكر نقطة هامة وهي أن ما أبيّنه لكِ أختي الغالية عن حقيقة مشاعري إنما هو ما لمسته بعد هداية الله لي بعد تغلّبي على اليأس من عفو الله، فأنا إذ أحاول أن أصوّر لكِ حالي علّك تعتبري من تجربتي، وتتحسّسي صدق المشاعر التي كانت تتملّكني طوال فترة ما قبل الحجاب، والتمييز بينها، وبين المشاعر التي أعيش حلاوتها فترة ما بعد الحجاب، وهي سعادة ما بعدها سعادة، وراحة نفسية وهدوء وسكينة، أرجو من الله أن ينعم عليكن بها، وليس على الله بعزيز إن بدأتُنَّ رحلة الهداية من قرار تتخذنه فوراً.

والله معكنّ يا عزيزاتي إن صبرتُنّ على مواجهة الهوى والعادات السيئة.

البلاء والهداية

إنما الهداية هي أكبر نعمة ما فوقها نعمة! فقد عبّر عنها نبيّنا ﷺ لعلي أمير المؤمنين عليه السلام أنها خير مما طلعت عليه الشمس، وذلك في هداية إنسان واحد فكيف إذا تعدّد، فليس للإنسان أن يتنفس غير الهواء النقي الذي خلقه الله من أجله، وكذلك فإنه لا يستطيع أن يشرب غير الماء العذب الطاهر الصافي، وهكذا الهداية، فالله حين يمنّ بها على عبده فهو يحبه ويريد له العيش بهناء وسعادة، وليسبغ عليه من فضله ويشرح بها صدره، ويوجهه للتوبة المستمرة، ويمكّنه من الحصول عليها من مصادر الاستغفار، والعبادات والإنفاق في سبيله، وغير ذلك من مصادر الرحمة.

والله عادل، يقتضي عدله أن يبتلي الإنسان ليمتحن قوة إيمانه وصبره، وثقته بالله عزّتْ قدرته؛ وحين ينجح في الاختبار يمنّ عليه بمزيد من الهداية، ويبقى يبتليه لكي يبقى دائماً مع الله يذكره دوماً وفي كل حين، مثال ذلك نجده في الإنسان حين يحب شخصاً يحاول أن يختبر مدى حبّه، وصدق مشاعره نحوه في الشدة والرخاء، فيضعه في زاوية حرجة، ثم يثب ليقول له: أنا رهن إشارتك وكل قدراتي تحت تصرفك إن طلبتها!

فكيف بالله الرؤوف الرحيم؟؟

وفي الحديث القدسي (**مَن تقرّب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً**)[1]، فالله جل جلاله من حبّه لعباده يذكرهم دوماً

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٨٩ ب١١.

بقدرته ورحمته ولطفه عند اشتداد الخطوب، بل وكلّما زاد عليهم الهم واشتدّ الكرب، وطالت أيامه ازداد إيمانهم، وتنبهوا من أن ذلك ابتلاء من الله ليرى مدى تمسّكهم به من ناحية، وليرتدعوا من أسباب الفتن السابقة، والله يعظّم لهم الأجر بعد ذلك، فعلى قدر الابتلاء يكون الجزاء كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: **(مثل المؤمن مثل كفّتي الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه، ليلقى الله عزّ وجلّ ولا خطيئة له)**[1].

لذلك لا ترتفع مكانة العبد عند الله إلاّ بشدّة الصبر على كثير بلاءه، ولذلك **(إن أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل)**[2].

وفي الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام: **(إن الله إذا أحب عبداً غتّه في البلاء غتّاً)**[3].

الله أكبر! طوبى لهؤلاء الذين سينالون هذا الشرف الذي ما بعده شرف **﴿... طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾**[4].

إن الإنسان إذا أحب شخصاً تمنى لو يكون معه طوال العمر، فكيف إذا كان الله هو الحبيب يا أختي المؤمنة!

والله إنه لا يمكن تصوّر الشعور الجميل الذي ستشعرين به حين يكون الله هو كل الحبّ المستقر في قلبك، وأمامك في كل حركة، عندها تأتي السعادة والطمأنينة **﴿... أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[5].

ما أعظمه من شعور! يزيل كل همّ، ويهوّن كل مصيبة مهما كان

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٤٣.

٢ ـ بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٠٠.

٣ ـ يعني غصّه في البلاء، بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٠٨.

٤ ـ سورة الرعد: الآية ٢٩.

٥ ـ سورة الرعد: الآية ٢٨.

حجمها واستمراريتها، بل إن الله يحبّبكِ بهذه المصيبة لأنها تجعلكِ بقرب الله ودوام لطفه معك.

فهذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ الذي كان يزداد إشراق وجهه كلما حلّت به مصيبة فوق مصيبته في يوم عاشوراء، كان يقول: **(هوّن ما نزل بي إنه بعين الله)**[1].

نعم أهلاً بالمصائب، أيّاً كانت، ما دامت تقرّبني إلى الله الواحد الأحد، والآن ألستِ متفقة معي في أن الهداية أكبر نعمة حتى من الهواء والماء؟؟

إن الإنسان إذا بلغ عمق هذه المعرفة لقال بما قلته، وذهب إلى ما ذهبتُ إليه؛ إن الهداية إلى رضوان الله هي أكبر نعمة وأغلى هدية قال الله تعالى: **﴿... وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[2].

أسأل الله أن يطعمكن هذا الشعور رحمة ومنّاً منه عزّ جاره وجلّ ثناؤه.

---

١ ـ مقتل الحسين للمقرّم: ص٢٧٣.

٢ ـ سورة التوبة: الآية ٧٢.

المرحلة الجديدة ..
امتحان آخر

وأعود إلى فترة ما بعد الغزو بعامين، فقد شاءت القدرة الإلهية أن تمنّ عليَّ بوظيفة محترمة في إحدى المؤسسات.

وبدأتُ العمل، وقد كانت البداية على خير ما يرام، وقد كانت نقلة جديدة في حياتي، فقد تغير المحيط الذي أعيش فيه، وأصناف البشر من حولي وحتى أنا قد تغيّرتُ، فما عدتُ تلك المراهقة البلهاء التي لا تعرف كيف تتعامل مع الآخرين، فقد كانت كل حياتي دراسة وتكوين للشخصية المستقبلية، وأنا لا أدري كيف يجب أن تكون عليه طريقة التعامل مع البشر في سنّ النضج والتعقّل والوعي والإدراك.

نعم فقد ولّتْ سنين المراهقة والمذاكرة، ومحاولة اجتياز الاختبارات العلمية، أمّا الآن فقد جاء دور الاختبار العملي الصعب .. اختبار الحياة، واعتبره أول ابتلاء لي في هذه المرحلة الجديدة من حياتي.

وقبل التوغل في هذا الموضوع أريد أن أذكر بأن من طبيعتي كانت التعامل مع الناس، وكأنهم بمثل طباعي، فلا أسيء الظن بهم من البداية أو أتعامل معهم بجفاء وتصلّب أو تسلّط، كنت دوماً حسنة النية إلى أبعد حدود، وربما كان هذا أيضاً سبب صدمتي مع كثير من الناس الذين وثقتُ بهم، ولم يكونوا أهلاً لهذه الثقة، وقد أوقعني ذلك في المشاكل والتعاسة التي عشتها في الماضي، والتي أعتبرها الآن ليست أكثر من سذاجة صدرتْ

مني للأسف، وما عدتُ بعدها أثق بأحد؛ وقد أشرت إلى هذه النقطة حتى يمكن فهم ما سأذكره بعدئذ، وما سيترتب عليه من أمور كان لها بالغ الأثر في مراحل حياتي القادمة.

بدأت أذهب إلى العمل بكل جدّ ونشاط، وإصرار على تعويض سنين الشباب التي ضاعت هباءً بسبب ما حدث في السابق من طيش ورعونة وعدم تحمل المسئولية، بالإضافة إلى المشاكل الأسرية التي ساعدت على ضياعي أكثر فأكثر.

كان كل من أتعامل معه يبدي النبل والأخلاق العالية، وغير ذلك من أمور «النفاق الاجتماعي» والكل يحاول أن يساعدني ويظهر بطولته وشهامته أمامي، فقد كان معظم موظفي المؤسسة من الرجال، والقليل جداً من النساء، وقد قُبلتُ بهذا العمل لأن تخصصي الجامعي كان في اللغة الأجنبية، وعملي يتطلّب التحدّث والتعامل مع البنوك الأجنبية في الخارج، وكنت شديدة الحرص على عملي ومخلصة فيه، وأعمل بكل وعي وإتقان، وأحاول دائماً أن أتعلم أشياء تساندني، وتدعم عملي أكثر، بذلك كنت في غاية السعادة، قياساً للكآبة السالفة الذكر، وكان كل اهتمامي مُنصبّاً على العمل فقط، ولا شيء يشغلني غيره.

للتوبة شروط عملية

كان عندي إحساس ملحّ بأنني أفتقر إلى شيء ما، وأن توبتي، وشكري لله لا فائدة منه إن لم تكتمل بشيء هام، ولابد من وجوده كي تتحقق التوبة بشكلها الكامل.

ولذلك قد عزمت على التحجّب، وهو ما سأفعله بعد تحرير بلدنا من الطغمة الصدّامية حتى أبدأ صفحة بيضاء جديدة في حياتي، لأنني عرفت بعد رجوعي إلى نفسي ومحاسبتها طوال تلك السنين أن الحجاب هو البداية الصحيحة، وهو أساس التوبة وعمادها.

إنه السياج الذي سيحميني عن الذئاب، ويحجب عني السوء، وينجيني من كل شر ويعصمني من ارتكاب المعاصي.. فلا أقع بعده فريسة أصحاب النفوس المريضة والذئاب البشرية.

إن المرأة لتصبح شقيّة طوال حياتها إذا لم تنعم بنعمة الحجاب، ولم تعرف أهميته في حياتها، ناهيك عمّا ستراه من شقاء أعظم بعد الموت، والذي أشرنا إليه في محلّه.

ولا زالت رحمة الله ترافقني أينما حللتُ، وتحميني من كل شرّ يحدث لي، ويرد كل كيد كانت زميلاتي في العمل يكدنه لي، وينقذني من كل مأزق أقعُ فيه، بل ويعطيني الإحساس بالحذر من أي شخص يحاول إيذائي.

ولما بدأ الحسد يدبّ في قلوب بعض الموظفين والموظفات - لانشغالي

الكلّي بالعمل وإخلاصي فيه ـ ظنوا وكأنهم يعتقدون بأن ذلك سيسبّب قطع أرزاقهم وصرفهم عن العمل .

فقد كنت أنجز عملي أفضل من الشكل المطلوب رغم العقبات التي كانوا يضعوها في طريقي ، مثلاً كنت أقوم بوظائف إضافية في غير مجال تخصصي ، وذلك توفيراً للوقت والجهد ، وإخلاصاً لله ﷻ .

أما رئيسي في العمل فكان سعيداً جداً باهتمامي للعمل ، ولكن كانت هناك مشكلة واحدة تضايقه مني ، وهي طبيعتي الصامتة المحتشمة ، وكان أسلوبي هذا في التعامل معه لا يعجبه كثيراً لأنني كنتُ جافّة ولا أتكلم إلاّ بما يخص العمل ، ولا أرحّبُ بأي من الموظفين كما تفعله بعض الموظفات المائعات ! وهذا ما كان يضايقهم أيضاً ويثير فيهم الحسد ، فأحسُّ أن الكل يقول في نفسه : ومن تكون هذه؟ ولماذا تترفّع عنّا؟

ولا يعلم أحدٌ سوى الله بمعاناتي التي كنتُ أدفنها بين ضلوعي لطول انتظاري لهذا العمل ، ومحاولتي تجنب الاحتكاك بالناس حتى لا أقع في مشاكل أخرى أكثر من التي عانيتها في السابق ، والتي لا أزال أعاني منها ، وأشعر بالألم والندم بسببها .

نعم هذه كلّها من شروط توبتي إذا كنتُ أريدها أن تكون حقيقية ومقبولة عند الله ﷻ .

كيف يفكر هؤلاء!

لقد كان رئيسي في الوظيفة رجلاً كبيراً في السن، وهذا الأمر شجعني على أن أقبل بالوظيفة وزادني اطمئناناً.

ولكنه كما ذكرتُ كان دوماً يتذمر من طريقة معاملتي معه، والتي كان يعتبرها قلة خبرة منّي فقد أثار هذه النقطة أمام أحد الموظفين الذين يثق بهم فقال له: أنه بغضّ النظر عن إخلاصها في عملها إلاّ أنه يحس أنه يتعامل مع طفلة لا تعرف كيف تكون لبقة، وتتبادل الحديث مع رئيسها في العمل لتكسب رضاه فهي لا ترغب أن تراعيه وتلاطفه، وغير ذلك من الأمور.

وقد اكتشفتُ هذا الأمر مؤخراً حيث كان هذا الشخص الذي يثق به رئيسي يذكره لي محاولة منه لجذب انتباهي له هو الآخر، ولكني بقيتُ على قراري الأول مع نفسي في أن لا أجامل، فما يهم رئيسي سوى عملي؟ فأنا لم آتِ هنا كي ألاطف فلاناً وأتحدّث مع فلان وأصنع علاقات مشبوهة!

وأَحسست لحظتها بخيبة أمل شديدة، فحتى الذي يعمل وينجز عمله بتفان وإخلاص لا يكون مقبولاً أو محبوباً عند هؤلاء الناس، وأمّا الذي ينافقَ ويستخدم الأساليب الملتوية ليتسلّق على أكتاف الآخرين غير آبه بقطع أرزاقهم، هو الذي تكون له الحظوة والشرف في كسب رضاهم، وهٰذا ما وجدتُهُ ـ للأسف ـ في كل مكان، وهو ما نعانيه أنا وأخوتي الذين يعملون مثلي.

فالصراحة والصدق غير مرغوبَيْن في العمل في هذا العصر، وطرق النفاق والاحتيال والتحايل والتسلّق، والمصلحة الشخصية هي أهم متطلّبات عصرنا المرهق، وقد صنعناه بأخلاقنا الجاهلية، وإلاّ فما ذنب الزمان؟ إنه ساعات من الوقت خاضعة لنظام كونيّ حكيم، فالزمان غير فاسد، وإنما أهله فاسدون أليس كذلك!؟

يعيب الناس كلهم زمانا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان لنا هجانا

أريد إصلاح نفسي
ولكن ..

يا لخيبة الأمل في هؤلاء البشر، فحتى لو حاول الإنسان إصلاح نفسه لا أحد منهم سيعطيه الفرصة للصلاح والهداية، ولن يتركوه وشأنه بسلام، بل لابد وأن يأتيك أحدهم ليغويك، ويبعدك عن طريق الصلاح الذي تريد المضي فيه، وهذه هي حقيقة مبدأ الابتلاء الذي سنّه الله لمعرفة حقيقة عباده، فالله يعرف ما توسوس به نفس كل مخلوق، ويعلم السرّ وأخفى، ولكنه وضع قانون الابتلاء لأن طريق الخير مليء بالصعوبات والعثرات والمصائب، والهموم التي تمحّص إيمان المؤمن الصادق وتكشف اللثام عن إيمان الكاذب.

أمّا طريق الشر فهو أسهل ما يكون، فلكي يرتكب الإنسان أيّ إثم سيجد الشيطان عنده في لحظتها يعينه على ارتكاب المعاصي بكل وسيلة، ومن كل ناحية، ويزيّن له حبّ الشهوات حتى ينزل به إلى الحضيض، ثم يتركه يدمّر نفسه شيئاً فشيئاً، وإذا به ينظر حوله فلا يجد من ينقذه من وحل المعصية، وعندئذ لن يحمل أحد وزره سواه، ولن ينفعه ماله أو ولده أو عشيرته.

هذه هي العدالة الإلهية في وضع قانون الابتلاء، فلا يكفي أن تقول إنني مؤمن دون أن تُبتلى ليعرف مقدار إيمانك وصبرك على المصائب والشدائد.

وقد كان هذا هو تفسير كل ما أُصادفه من متاعب في تعاملي مع البشر، فأنا لا زلتُ في فترة اختبار، وإن ما يشعرني بالأسى والندم، أنني صرتُ أتمهّل وأتردّد في قرار التمسّك النهائي بالحجاب، إلى أن انشغلتُ بالعمل الوظيفي، وتوافه الأمور التي كانت تحصل لي.

ومع استمراري في العمل ذقتُ الويل من كل جانب . . من المدير وأصغر أبنائه الذي سلّمه إدارة أحد أفرع المؤسسة، وكان قد درس معي في نفس الجامعة التي تخرّجتُ منها، فكان إنساناً متهوراً مراهقاً، ذا أخلاق سيئة ويتشبّه بالأجانب في تصرفاته، وعلاقاته المشبوهة مع أجنبيات اعتقاداً منه بأنهن الأكثر لباقة، وأخلاقاً وأوسع تفكيراً وتحضّراً من العربيات.

كان والده كثير السفر، وحين كان يسافر تبدأ رحلة متاعبي مع ابنه المتهوّر، لكثرة ما يحاول هذا المراهق أن يتلصّص، ويتطفّل عليَّ أثناء عملي وكثرة تردّده على مكتبي الذي أعمل فيه.

يحاول أن يغويني متأمّلاً أن يحظى بعلاقة كالعلاقات المشبوهة التي كان يتفاخر بها أمام الجميع، وكأنه إنجاز عظيم من إنجازاته التي لابد أن يسجّلها التاريخ، وقد ابتليت باتصالات معجباته المقرفة.

فقد كان حين يملّ من واحدة لا يريد أن يكلمها يكلفني أن أصرفها عنه بحكم أن من ضمن واجباتي في العمل الرد على المكالمات.

مالي والتورط بهذه الأمور الوضيعة التي أكره أن أُزجَّ بها بحكم المحافظة على العمل! إلى أن بدأ يحاول رمي شباكه عليَّ عن طريق التدخّل في أموري الخاصة من خلال العمل، ولكنني كنتُ ـ بفضل الله ـ عارفة نواياه، ولا أعطيه أقل فرصة للنيل مني مما زاد إصراره عليَّ، وبدأ أيضاً يُحدّث عنّي نفس الشخص الذي كان مديري يثق به، ويسأله عن بعض ما يخص ظروفي.

وهذا الحديث أيضاً ثار فضول هذا الشخص الوسيط، وصار أيضاً يحوم حولي بحجة أنه يريد أن ينبهني مما يحاول الوصول إليه ابن المدير، حتى يظهر بدور الرجل الشجاع الشهم، وأنا بدوري أشكره على هذه المشاعر . . .

وحين أدرك أنني لستُ ممن يتنازل عن أخلاقياته، وكرامته ليرضي المدير أو أي مخلوق نزق آخر، وأنني مؤمنة بالله، الذي ألتمس رحمته ورضاه ولا أخاف أحداً سواه، بدأ يكرر محاولته ليدخل عليَّ من نفس ذلك الباب ليُظهر حرصه وخوفه عليَّ.

ولقد وثقت به، ولكن كأخ يحاول أن يحافظ على وجودي في العمل معزّزة مكرّمة، ودون أن يمسّني أحد بسوء، ولم أفكر أبداً أنه كان أيضاً يريد استمالتي أو التقرب إليَّ، وبما أنه ليستْ من عادتي أن أظن ظن السوء بأحد فلم أهتم لهذه الأمور طالما أنني بمكتبي المنعزل، لطبيعة عملي المنفصلة عن أعمال باقي موظفي المؤسسة.

وكنتُ كلّما حاول ذلك الرجل التقرب إليَّ كنتُ أصدُّهُ وأعتذر بكل احترام، ولكنني صعقتُ حين عرفتُ حقيقة نوايا المدير وابنه المراهقَيْن، وازدادتْ حيرتي في أمري حيث بدأ أيضاً غيرهما ممن يتعاملون ويترددون على المؤسسة يحاولون التودّد إليَّ بذات القصد!

السفور
بداية السقوط

إن كل ما حدث لي إنما كان لسبب واحد، ألا وهو «السفور»، فلو كنت محافظة على حشمة مظهري لما جلبتُ كل هذا الهمّ إلى نفسي.

إذن فالخطأ كان من البداية قد صدر من نفسي وليس منهم، وليس ممن كان ينظر إليَّ بالريبة، فشكلي ومظهري الخارجي هو الذي أوحى لهم، وشجّعهم على القيام بمحاولاتهم المريضة.

وأمّا في البيت فكل ما يهمّ أمي هو أن يتقدم إليَّ الرجل المناسب للزواج الذي ربما أصادفه في العمل أو في مكان آخر، وهذا ليس عيباً فيها فهي تريد لبنتها الستر.

كما إنها لا تريد أن نمر بمثل ما مرّتْ به من معاناة مع والدي، ولتطمئن على مستقبلنا، ولتتفاخر بنا أمام أهلها وأصحابها الذين نبذونا، وأنا أؤيدها في ذلك فهي ربّتْ وتعبتْ وعانتْ، وترى أنّ من حقّها أن تجني ثمار تعبها هذا لتفرح به، ولكنها ـ مع الأسف ـ لم تكن تعير مسألة الحجاب أهمية كبيرة لاعتقادها أنها مسألة يمكن تأجيلها إلى ما بعد الزواج، أو أنها رهن تفاهم الفتاة مع زوجها، وبالتالي سترتدي الحجاب يوماً ما، ونسيتْ أن هذا اليوم قد لا يأتي بعد طول السفور، والدمار الذي يلحق بالسافرة وسمعتها.

ورغم هذا كانت تثق بنا ثقة كبيرة، فهي مطمئنة على تصرفاتنا

وأخلاقنا التي ربّتنا عليها ، ولكن لا أُخفي هنا أمراً عجيباً إذ حين أخبرتُ أخواتي بأمر ابن المدير صرن يلمنني لأنني لم أرضخ له فأخذن يسخرن مني كثيراً ، إلاّ أنني أوضحتُ لهن سبب رفضي له بأنه شابٌ لا يعرف حدود الله ، وأنه لا يعرف حتى كيفية الصلاة ! .

السخرية من الصلاة ...

ولكِ أن تنظري أختي الكريمة إلى ما وصل إليه حال بعض المسلمين أمثال ابنَ مديري في العمل، الذي بدتْ عليه علامات الاستهزاء والاستغراب حين وجدني ذات مرة صائمة، وصار يثقل عليَّ بالأسئلة عن سبب صيامي ولماذا أصلي! وقد أصيب بالدهشة حين أجبته على حدّ ما عرفت من الحق، وإن كانت إجابتي متواضعة وبسيطة عن أثر الصيام والحكمة منه وفوائده.

فقد أجبته وأنا أشعر بالغيظ لنظرة الاستهزاء والتهكّم التي أراها تملأ وجهه عندما قلت: بأن الحكمة من الصيام هي كي أحس بجوع الجائع الذي لا يجد لقمة يسدّ بها جوعه في كثير من أنحاء العالم، وحين أتذكر جوعه أساعده وأجعل له نصيباً من طعامي، أو أنفق في سبيل الله على الفقراء، وكذلك لأتعلم الصبر على الشدائد، وزيادة العزيمة على كبت شهوات النفس والصبر عليها، وفي النهاية التقرّب إلى الله وكسب رضاه لكي يفك الله رقبتي منَ النار، فشهر الصوم هو شهر العتق من النار وفتح باب التوبة والمغفرة والحسنات والأجر عند الله فكما جاء في الحديث القدسي: **(الصوم لي وأنا أجزي به)**[1].

كم أحسست بالشفقة عليه لافتقاره معرفة مثل هذه الأمور، وكم

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٩٦ ص٢٥٥.

أشعر بالحزن والعتب على والده الذي يغرقه بالمال، ويقدّم له كل وسائل الترفيه والتمتع بحياته الفانية، ولا يعنيه إذا كان ذلك من حلال أو حرام، ولم يكلّف نفسه حتى بتعليمه أهم أركان أصول وفروع دينه، التي يجب أن يعرفها منذ الصغر.

أليس دور الوالدين هو أن ينمّوا الفطرة الإيمانية في أولادهما؟ ويوقظوها بداخلهم ليتنبهوا إليها ويعرفوا معانيها السامية فتكون لهم وقايةً ورادعاً عن فعل الفواحش.

والعجب أن والده كان يتفاخر أمامي وأمام الملأ بعلاقات ولده المشبوهة، ومجاهرته بترك صيامه وصلاته! ونسي أن الولد نعمة وأمانة سوف يحاسبه الله في يوم المسائلة عن كل ما فعله بهذه الأمانة! فماذا سيقول لربّه حين يقف في يوم الموقف العظيم؟ كيف يمكن أن نتصور أن رجلاً بالغاً عاقلاً ـ كابن المدير ـ يدين بدين الإسلام، وفي نفس الوقت يسخر وبكل وقاحة من عبادات هذا الدين الحنيف، وكأنه من أهل ملّة أُخرى.

فعندما استفهمت منه وسألته عن سبب تركه الالتزام بالعبادات، أجابني وكان ردّه عجيباً، فقد قال: لماذا أصلّي؟ ولماذا أصوم؟ وأحرم نفسي من مُتع الحياة طوال عمري ـ على حد قوله ـ حتى إذا جاء يوم القيامة ربما يكافئني الله على عبادتي، وربما لا يفعل، ولِمَ كل هذا العناء؟ والمكافأة غير مضمونة!!

بالله عليكم أي مبدأ يتكلم به هذا المخلوق! وهل تربّى في بيت مسلم! بل كنتُ أتساءل إن سمع آية من القرآن يوماً تقرأ أمامه؟ أو دخل مسجداً؟ أو حتى رأى أحداً يصلي أمامه! إني أشك بذلك وإلاّ لما تجرأ واستهزأ بهذا الأمر العظيم.

الزواج ..
بصوت العقل

وحين أفهمت أخواتي بهذا، وعن سبب عدم خضوعي لهذا الشاب - ابن المدير - صرن يسخرن مني ويلمنني، ويوبخنني مدعيات بأن هذا الأمر بينه وبين الله، وربّه سيحاسبه وليس أنتِ، المهم أنه غني، ومن عائلة مرموقة، وبنفس مستواكِ التعليمي وهذا يكفي!

فهل أصبحت مقاييس الزواج بهذا الرخص وبهذه الضآلة؟! إن ما أعرفه وما تعلمته من الرسول الأعظم ﷺ أنه **(إذا جاءكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه)**[1]، وليس من ترضون منصبه، أو اسم عائلته أو غناه . . . فهذه المقاييس لا يؤخذ بها في حساب الله تعالى، وكيف آمنُ على نفسي من إنسان لا يعرف حدود الله ولا يخاف عقابه؟

كيف سيعرف حقوق الزوجة والمحافظة على الأسرة وهو لا يعرف حقوق خالقه؟

كيف سأعيش مع إنسان هو عبد لشهواته ونزواته الحقيرة؟

كيف سنربّي أبناءنا، وعماد الأسرة يفتقد إلى التربية؟!

كان جوابهن أنه باستطاعتي تقويمه، وكيف أقوّم إنساناً تربّى على مبادئ الغرب الوضيعة، وانغمس بكل أنواع الفساد، والانحلال الخُلُقي

---

١ ــ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٣٧٣ ح٩ ب١١.

والتربوي؟؟! ثم إنني بحاجة إلى إنسان يقوّمني، ويشجعني على الهداية والاستقرار والتوجه إلى الله ومخافة غضبه بعد عهد ليس بقصير من الغواية والضلال وكثرة الذنوب.

وأنا على يقين من أنني إذا أردت أن أتحجّب سيكون هو أول من سيعارض، وإن حاولتُ الاعتكاف بمنزلي لصون كرامتي التي منحها الله إياي، سيغضب ويطلب مني أن أكون «متحضرة»، وأخوض مجال العمل في مرأى الأجانب، فهو من أصحاب «المساواة بين المرأة والرجل»، ولا يجوز عنده أن تبقى المرأة المتحضرة في البيت لتربّي أبنائها، بل لابد لها أن تطوّر نفسها، وأن تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل، وهي بذلك تحقق طموحاتها، وتعاون زوجها في رفع مستوى معيشتهما.

أهذا هو زوج المستقبل الذي طالما تمنيتُ أن أكون له؟

أهذا هو السند؟

أهذا هو الذي سيساعدني على الاستقامة أكثر، والتعبّد ومخافة الله في تربية الأبناء؟

كيف ستكون الذرية صالحة وربّ الأسرة يغطّ بالفساد؟

وكيف أضمن أن يكون عادلاً معي، وهو ظالم لنفسه بابتعاده عن رحاب الله؟

أهذا هو الزوج الغيور عليَّ والمحافظ على كرامتي؟!

أرجو أن لا أُتهم بأنني ضد العمل والتطوّر، فحين تكون هناك حاجة ماسة للعمل في ظروف معينة، مثلاً: يكون الزوج غير قادر على تحمل تكاليف الأسرة وحده فهنا قد يعتبر العمل عبادة، إذا كان بالطبع من غير اختلاط مع الأجنبي لأن الله تعالى بحكمته اختصّ المرأة بتربية وتعليم أولادها في المنزل، ويمكنها أن تكون معلمة في المدرسة أو الحضانة.

فهذا أكبر وأشرف عمل قد شرّفها الله به لأنـها أهـل لذلـك ، وفي نفس الوقت قد اختص الله الرجل بتحمل مسئولية إعالة زوجته وأسرته ، وكلّفه القيام بالأعمال الخشنة والثقيلة لتمكُّنه منها بسبب طبيعة تكوين بنيته القوية .

إن الله قد وزّع لكل منهما نوعية العمل الذي يمكنه القيام به لتستمر الحياة في المسار الصحيح .

وإن الله ﷻ قد كرّم المرأة ، واصطفى بعضهن ليساهمن بتبليغ رسالة السماء كمريم ؈ ، والسيدة خديجة الكبرى ؈ التي وقفت وساندتْ النبي الأعظم ﷺ وضحّتْ بنفسها ومالها في سبيل نشر الإسلام حتى قال عنها النبي الأكرم ﷺ : (**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال خديجة ...**)[1] ، وكذلك سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ؈ التي كان لها الدور العظيم في توضيح الرسالة المحمدية الخالدة والدفاع عنها ، وبيان وشرح كل ما يتعلق بتطبيق الأمور ، والمسائل الشرعية التي تخص العبادات والواجبات التي يجب أن تؤديها المرأة .

وما أعظم ما قدمته لنا من دروس في سبيل مواصلة تبليغ ، ونشر الرسالة التي حملها أبوها المصطفى ﷺ .

فلم يخلق الله المرأة لتزاحم الرجال في أعمالهم التي هيّأهم لها ، وكلّفهم بها ، وإلاّ فلماذا خُلقتْ المرأة؟ أللتشبّه بالرجال ، ولكي تهمل دورها الأساسي الذي كلّفها به الله ، وفي مقدمته تربية النشأ الجديد !

وهناوبعد امتعاض الجميع مني ومن أفكاري المتحجرة ـ كما يزعمون ـ عدتُ أحس بشيء من الخوف وعدم الأمان ، وأنه ليس لي مكان في هذه الدنيا فالكل يسخر مني ويقول : أنني أعيش في أوهام المثاليات والمدينة الفاضلة التي ليس لها وجود في هذا العصر ، وأنه يجب عليَّ التكيّف ،

---

١ ـ بحار الأنوار: ج١٩ ص٦٣ ح١٧ ب٦ .

والتأقلم مع الوضع الذي أنا فيه، لأن ما أفكر به هو «خطأ»، والصواب هو أن أحاول القبول بهذا المخلوق ليكون زوجي، وكأنهم يحثونني أن أسلم رأسي إلى الجلاد وأرضى بالأمر الواقع.

أنا لستُ بهذا التعصّب والتصلّب في الرأي كما يدعون، إنما خوفي من الله يدعوني إلى رفضه، ولما رأيت من متاعب طيلة حياتي جعلتني أتردد، وأفكر في الأمور التي تحصل لي ملياً ومن جميع الجوانب، وأحسب عواقبها في المستقبل قبل أن أتخذ فيها أي قرار.

فإنه حين حثّني الجميع على أن ارتبط بهذا الشاب فكّرتُ في تصرفاته بعد ما رأيتها بعيني، وعرفتُ منها أسلوب حياته ونشأته، وفكّرتُ كيف سأعيش بقية عمري مع هذا الشخص وهو بهذه الأخلاق، وأنا على علم بفساده؟!

هل كتب عليَّ الشقاء في بداية حياتي الزوجية؟

فأول العمر شقاء، وآخر العمر شقاء أيضاً! هذا ما لا يرضاه الله ﷻ لعباده الصالحين.

فلابد أن أختار إذاً ذلك الرجل المستقيم لتستقيم معه حياتي، وأكون زوجة، صالحة وأُمّاً صالحة لتربية جيل صالح.

وما فكرت حينها بمنصبه، أو اسم عائلته أو أي أمر من هذه الأمور التافهة بقدر ما فكرتُ بما هو مرتبط بالله وطاعته ورضوانه، فكل ما كنتُ أتمناه أن يكون رجلاً صالحاً يخاف الله ويعرف حدوده، يصون شرفي ويسترني، ويقوّمني إن أخطأت ويحثّني ويشجّعني على طاعة الله أكثر فأكثر، ويعلمني ما أجهله من أمور ديني، فنُصبِّر بعضنا البعض في الشدة والكرب ونشكر الله على كل حال.

كان ذلك ما أتمناه في حياتي الزوجية، وبالرغم من خيبة أملي فيمن حولي إلاّ أنني أحسستُ براحة نفسية وطمأنينة، لأنني أصبحت أفكر بطريقة أفضل، وأقيّم الأمور من منطلق الحق لا الباطل، ومن نداء العقل لا هوى النفس.

تهميش دور الحجاب

الحجاب حينما لا تجعله الأسرة المسلمة في أولوياتها تبدأ رحلة السقوط فقد كنتُ كلما هممتُ أن أتحجّبُ أنصرفُ وأنشغلُ عنه بأمور حياتي ومتاعبي التي لا تنتهي، فللنفس الأمارة بالسوء دور خبيث حيث كانت تشغلني عن تحقيق هذا الأمر.

وكنتُ كلما حاولت أن أقدم على ارتداء الحجاب كانت أمي تقول لي: يمكنكِ أن تتحجبي بعد الزواج فهو ليس بالأمر المهم! وهذا لا يعني بأنها لا تريدني أن أتحجب كلاً فهي محجبة وتخاف الله، ولكن هناك هاجس الأم في محاولة تزويج بناتها بأسرع وقت ممكن، فإذا مضى بهن العمر يبدأ قلقها، وخوفها يزداد مع مرور السنين، كما أنني لم أكن على قدر كبير من الجمال، فأخواتي كنّ يفقنني جمالاً، وقد تزوجن إلاّ أنا وأختي الصغرى.

وهي تعتقد - خطأ - بأنني إن تحجبتُ ربما يسبب ذلك عدم مجيء الخاطب، وكثيراً ما كانت تقول: إذا تزوجت فافعلي ما تشائين بنفسك، وكما يريد زوجك.

والحجاب إن شاء الله تلبسينه في حينه، ولا أدري لعلّها كانتْ تتصوّر بأنني أريد أن أرتدي الحجاب فقط لتغيير شكلي ومماشاةً للموضة، وأنه سرعان ما ينتهي وأتخلص منه.

وبالطبع سواءً ذاك أو هذا فإنه تصوّر خاطئ فأنا لم أعد أهتم بتوافه

الأمور، لأنني كنتُ بعيدة عن أهلي وقليلة الاحتكاك بهم، وربما كان ذلك من مخلفات وآثار معاملة أبي في الماضي، والمشاكل التي كنتُ أكثر من يحسّ بوطأتها ويرتعب منها، بل وأثّر ذلك سلباً على طريقة تفكيري حيث تولّد عندي ما يسمى في العلم الحديث بـ «أحلام اليقظة».

فقد كنتُ حين أحسّ بالخطر قادماً في بداية المشادات المعهودة كنت أغلق على نفسي الباب وأجهش بالبكاء.. أترقب بكل خوف وقلق ورعب، بل وأتخيل ما سيحصل أو أهرب إلى عالمي الذي بنيته من وحي أفكاري.. إلى مدينتي الفاضلة في الخيال حيث الحب والحنان والأخلاق والمثل والقيم كمتنفَّس لي من أحزاني.

فحينما تواجهني أي متاعب أو مشاكل أو خيبة أمل ألجأ إلى هذه الوسيلة حتى وإن صادفتُ شيئاً مفرحاً في حياتي كانت تأخذني الأفكار بعيداً عن الواقع، بل وأسبح في سماء المستقبل محاولة التنبّؤ بما سيحدث، وكأنني أُطمئن نفسي باستمرارية هذا الأمر المفرح الذي طالما أُصدم بزواله والرجوع إلى قمم الواقع المرير الذي أعيش فيه، ومع هذا كنت دوماً سعيدة بهذا الأمر، لأنه سلوتي الوحيدة عند أي أمر يحزنني.

كانت هذه الأحلام الشيء الوحيد الذي يخفف عني الوحدة والعذاب الذي كنتُ أعاني منه في حياتي، على عكس أخواتي اللائي كنّ يُطلعنَ أمي بكل شيء، ولهذا السبب فإن والدتي كانت تجد صعوبة في فهم طباعي، ومشاعري التي تحس أنها غريبة، وكثيراً ما تتذمر من ذلك الغموض الذي يكتنفني، وكأنني أعيش في منزل آخر وليس معهم.

ماذا لو كان الباب مفتوحاً؟

ومع كل ذلك الإصرار الحقيقي ومحاولات الإقناع لم تكن تعلم والدتي أنني كنت أكلمها بكل صدق وجدّ، أكثر من ذي قبل، وأنني كنت أزداد إصراراً يوماً بعد يوم.

فأنا أريد الخلاص من كل تلك الهموم والمآسي، فما عدت أستطيع تحمل نظرات الناس لي، ومحاولة الشباب إيذائي والنيل مني، لأن سفوري يوحي لهم بأني أهل لما يرغبون.

إن مَثَل السافرة كمن تركت باب منزلها مفتوحاً لكل من يريد أن يدخل، فإذا كان المنظر ملفتاً للنظر بالفعل، والباب مفتوح فما يمنع الناس من الدخول؟!

أليس يعني ذلك أن لكل واحد الحق في الدخول طالما الباب مفتوح؟ ولو كان الدافع حب التطفّل، والفضول لمعرفة ما بداخل المنزل، وإلاّ لأغلق أهله الباب فيعرف الناس أن لهذا المنزل حرمة، ولا يجوز دخوله إلاّ لمن له الحق الشرعي في أن يدخل.

نعم فطالما أنا أظهر لكل الناس بهذا المظهر لن أسلم من مضايقاتهم، وتطفلهم حتى وإن كنتُ أحمل نوايا حسنة، فهذا لا يبرر عدم محافظتي على احتشامي، وإن كنتُ أرتدي اللباس الطويل فالشعر له أيضاً دور في لفت انتباه الآخرين وإن كنتُ لا أقصد إثارتهم.

وقد حاولت أن أستنفد كل أعـذار أهلي الواهيـة بالنسبة لموضوع ابـن المدير وأؤكـد لنفسـي حقيقـة رأيـي فيـه ، وإن كـان مـا يظنـه أهلـي أنــه يمكــن إصلاح هذا الشـخص ونصحـه ، فحـاولت أن أعـرف رأيـه بالحجـاب ، الـذي هو أهم ما يشغلني في حياتي ، وكانت الإجابة كما توقعتها .

فقـد زاد مـن سـخريته مني واسـماً إيـاي بـالتخلّف ، وغــير ذلــك مــن الأمور ، حتى الشخص الذي وثقتُ به كـأخ حين سـألته عـن الحجـاب قـال : ليس الآن ولماذا أنت في عجلة من هذا الأمر !

حقاً إننـي صُدمـت كيـف أننـا في زمـن صـار النـاس فيـه يـأمرون بـالمنكر وينـهون عـن المعـروف ! بـل ويُقدّمـون لـك الـبراهين على صحـة مـا يدعــون باسم الحضـارة أو أن هـذا هـو السـبيل الأمثـل لمواصلـة العيـش والتعـايش مـع الناس .

وكأن كل من يتبع الطريق الصحيـح إنما هـو فاشـل وغريـب الأطـوار ، بل إنه في اعتقادهم إنسان غير متحضر ، وكـم أفخـر الآن إننـي غـير متحضـرة من وجهة نظرهم البائسة .

إنما هي تذكرة

سارت الأمور من السيئ إلى الأسوء حتى وصلت إلى مرحلة بدأت صحتي بسببها تتدهور، وربما كان هذا التعب هو تذكرة من ربي لأن أبدأ بداية التوبة الحقيقية لأسلم مما أعانيه.

فداهمتني آلام فظيعة في بطني كانت تزيد فوق عذابي النفسي عذاباً جسدياً رهيباً لا يوصف، كان هذا الألم لا يداهمني كثيراً ولكن في هذه الفترة أصبح يفاجئني، بل ويلازمني الليل مع النهار فلا أستطيع حتى شرب الماء، وكنت كمن يصارع سكرات الموت، ولم أُظهر شدة وطأة ذلك الألم لأمي كعادتي حتى لا تنشغل بي، ولكن أصبحت في حالة يرثى لها، بل وظهرت آثار هذا الألم حتى على لون وجهي، ففزعتْ حينها أمي، وأصرتْ أن تنقلني إلى المستشفى.

وأقف هنا قليلاً لأصور لك ـ أختي ـ عظمة العناية الإلهية التي كانت تخفني من بداية إحساسي بهذه الآلام إلى ما بعد إجراء العملية، فالله إن أراد ـ بلطفه ـ أن يهدي إنساناً ابتلاه بأمر حتى يتذكر قدرة الله عليه، وهي دعوة منه تعالى لعبده بأن يذكره، ويدعوه ليرفع عنه تلك العلة، أو ذلك الألم، فهو القادر على كشف ما يعانيه رحمة ورأفة منه سبحانه وتعالى.

بل يكون هذا الألم كفارة له عن ذنب أذنبه في حقه جلت قدرته، وحين حصل لي ما حصل أحسست وكأن الله يذكرني بوعد التوبة الذي قطعته على نفسي، وشغلتني عن الوفاء به تلك المشاكل التي صارت تحيط

بي من كل جانب ، وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره وأفي به ، ما أعظم لطف الله على عباده أن لا يبتعدوا عن ذكره!

تعالي أيتها الأخت المسلمة لنذكر قدرة ربّنا فيرحمنا ، ولنسلك طريق الهداية فنظفر برضاه ، ونتجنّب سخطه .

فهذا بالضبط ما حصل لي ، وما أحسست به حين كنت أقاسي من آلامي ، وهذه تذكرة من الله بقدرته على هلاكي وإنهاء حياتي قبل أن أتوب ، ولأسارع بالوفاء بوعدي له بالتوبة قبل فوات الأوان حين لا ينفع ندم ، ولا تقبل شفاعة فلا أحد يدري متى ستحين ساعته كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ...﴾[1] .

ودخلتُ المستشفى وبفضله ﷻ ـ الذي لا يحصى فضله ـ تكلّلت العملية بالنجاح العظيم ، حيث جرت عمليتي بأحدث ما توصل إليه الأطباء في مجال الجراحة من أجهزة علمية وتقنية متطورة ، ولم تترك لي أي أثر واضح من جرح أو غير ذلك في مكان العملية ، وهذه هي الرحمة العظيمة التي غمرني بها الرحمان فأذهب عني آلامي ومعاناتي ، بل وأكرمني بالشفاء النهائي منها .

---

١ ــ سورة لقمان: الآية ٣٤.

رحمة الله

أتعلمين أختي المسلمة إنني لأشعر أن ما حصل، ويحصل لي إنما هو معجزة من معجزات قدرته ﷻ، وإلاّ فمن أنا حتى يهتم بهدايتي بهذا الشكل؟! فهو جلّت قدرته غني عن كل ما خلقه، ولو شاء أهلكنا وأتى بقوم آخرين يحبهم ويحبونه.

ومن أنا حتى يعفو عني، أو يبقي عليَّ إلى الآن رغم كثرة عصياني، وذنوبي أو يتركني في ضلالي القديم أغرق وأغرق، أليست هي رحمته التي وسعت كل شيء وحكمته وعدله!

إن الإنسان إذا أخطأ في حقّ من يحب عدة مرّات أو حتى مرّة واحدة فإن ذلك يسبب غضبه أو يفجّر في نفسه السخط، أو يفكر أحياناً في معاقبته بكل قسوة لهذا الخطأ ليعرف قدره، فكيف بالحبيب الواحد الأحد الباقي بعد فناء كل شيء، ألا يستطيع أن يعاقبنا أو أن ينزل بنا ميتة السوء لإجحافنا حقه واستهانتنا بقدرته؟! ولكنها رحمته الواسعة ﷻ ....

بعد الشفاء

فبعد أسبوعين من إجراء العملية تماثلت للشفاء التام بفضل الله وخرجت من المستشفى، وعاد حنيني إلى التوبة بعد شكر الله، فهي طريقي الوحيد للوصول إلى رضاه، ولكن ـ للأسف الشديد ـ شُغلتُ عن المضي قدماً في هذا الأمر لهول صدمتي لما رأيته ولما حصل لي بعد أن رجعت لأباشر عملي في المؤسسة إذ وجدت الكل متخذاً موقفاً سلبياً مني، فالمدير لم يعد يرغب في عملي، وبدل أن يحمد الله على سلامتي راح يلومني لتغيبي طوال الفترة المرضية.

وبدأ يتذمر مني، وكذلك الابن، وذاك الموظف المتظاهر بالإخلاص، خصوصاً وأنهم قد عيّنوا موظفة جديدة من جنسية عربية، وهي من النوع الذي يفضله هؤلاء.. فقد أظهرت مواهبها التي عرفت أنهم يفضلونها لتساعد على زيادة كفاءتها في العمل.

خصوصاً أن طبيعة عملهم في المؤسسة جاف، ويحتاج إلى «الليونة والملاطفة والميوعة» من وقت لآخر، وقد رضيت هي بهذا الوضع، وسعدت بهذه التجارة، وأنا كذلك رضيتُ بعمل آخر في ذات المؤسسة.

عندما تسقط الكرامة

لقد كنت أشفق عليها، لسبب ظروفها الخاصة، حيث جاءت إلى بلد غريب وحيدة، تحاول أن تعين أهلها، فالتحقت بهذا العمل وكانت سعيدة به، لأنه من الصعب الحصول على وظيفة في هذه الأيام، ولكن هل هذه الأمور تستدعي أن يتنازل الإنسان عن أخلاقياته كي يرضي صاحب العمل؟

ذلك هو الخطأ بعينه، فهي لها إمكانات تؤهلها لأن تعمل بصدق وأمانة، ودون أن تقدم هذه التنازلات التي إن بذلتها فهي من سيجني على نفسه ولابد أن تحصد ثمار ما جنته يداها، ولكن - وللأسف - صار كثير من الناس يتجهون إلى الكسب السريع والسهل، وربما يحققون ما يصبون إليه، وإن كان ذلك على حساب كرامتهم ومبادئهم التي أكرمهم الله بها ليسموا بشرفهم الذي لا يقدر بثمن.

وجدتُ هذه الفتاة بحالة جعلت كل من يأتي إلى المؤسسة يثار من طريقه لبسها، وتصرفاتها التي كانت تبدو سعيدة بها بفضل تشجيع المدير وابن المدير، وباقي الموظفين لها للاستمرار بذلك، فتارة تلاطفهم، وتارة تثير شفقتهم حين تشرح لهم ظروفها التعيسة، مما جعل ذاك الموظف المتظاهر بالشهامة - الذي يثق به المدير - والذي بدأ هو الآخر يحوم حولها بنفس الطريقة التي كان يحاول فيها التودّد إليَّ ولكنّها - ولله الحمد - باءت بالفشل لأنني لم أرض بالتنازل عن كرامتي مقابل حفنة دنانير رخيصة ملوثة بالخزي والعار، والتي أستطيع أن أجني أضعافها بما منّ الله عليَّ من

خبرة وشهادة تساعدني على العمل بشرف وكرامة وإخلاص، من غير الحاجة إلى هذه الأساليب الملتوية التي لا ترضي الله.

فلم أتعجب من قيام الموظف المذكور بكل مروءته وشهامته المعهودة بطلب زيادة راتبها لسبب ظروفها، وبعد أن عرفت تلك الفتاة أن هذا الموظف موضع ثقة المدير، صارت هي الأخرى تحوم حوله لتصل إلى مبتغاها، وكان لها ما تريد رغم أنه لم يمضِ على عملها غير شهرين لا أكثر!.

هكذا يكافئون على الإخلاص

واصلت عملي وأحسست أني أشعر بالراحة النفسية من ابتعاد هؤلاء الموظفين عني، فما عاد هناك من يضايقني، وينغّص عليَّ راحتي بأساليبه الملتوية إلى أن أكملت السنة تقريباً، ولم يقدر المدير استحقاقي الزيادة حسب قانون العمل، بالإضافة إلى كفاءتي التي يشهد بها الجميع، وقد كان من حقي المطالبة بالزيادة ولكن لا يبدو أن هناك من يحس أو يسمع.

بل على العكس رفعوا مسمّى تلك الفتاة الوظيفي ليناسب الزيادة، أما أنا فقد أرسلوني إلى أقل من مسمّاي الوظيفي، بل وأقل من مستوى شهادتي الجامعية.

حينها أحسست بالألم الفظيع، والحيف والظلم الذي جعلني أتمرد وأطالب بحقي، ولكنهم أصمّوا أسماعهم دون أن يضعوا أنفسهم أمام الحقيقة:

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً   ولكن لا حياة لمن تنادي

وأرسلوا من يقول لي: أن ذلك ما تقتضيه مصلحة العمل.

وأين كانت المصلحة العامة حين كنت أقوم بأكثر مما يتطلبه تخصّصي؟ ولم أسمع حتى كلمة شكر عما أقوم به من أعمال؟

حينها صاروا يستعملون وسيلة سحب الصلاحيات مني حتى

يشعروني بأنني مجرد كمّ فائض عن الحاجة، ويجبروني على القبول بالعمل بما هو دون مستوى عملي وتعليمي، وتأزّمت علاقتي مع الكل أكثر فأكثر دون أن يقدّر أحد منهم مدى التعب النفسي الذي أحمله بين طيّات قلبي المحطّم.

إلى أن طفح الكيل فقدّمت استقالتي، وابتعدت عن هؤلاء الشرذمة الظالمين، وكم كان ذلك صعباً عليهم، فهم لم يتوقعوا أن أستقيل من العمل، لأنهم يعلمون أنني بحاجة إليه، وكم كان الغيظ يقتلهم وهم لم يحصلوا على بغيتهم، وأنهم لم يكونوا هم الذين يستغنون عن خدماتي في مؤسستهم.

ونسوا أن للإنسان كرامة وقيمة يرفعه الله بها، وهم الآن يحاولون أن يهدروها بتعجرفهم، واستبدادهم واستغلالهم ضعف الناس، وحاجتهم إلى العمل ليرضوا مطامعهم الشخصية.

وبقيت في منزلي فترة من الزمن ثم رزقني الله عملاً آخر ولكنه كان أيضاً كسابقه، فكل ما يريدوه هو أن يجعلوني بالإضافة إلى عملي الشاق أن أكون واجهة جميلة لشركاتهم، وهذا ما لا أرضاه لنفسي، ولذلك لم أستمر كثيراً في ذلك العمل أيضاً.

الدرس الأخير

ورجعت إلى منزلي مرة أخرى ونفسيتي متدهورة لما لاقيته من مصائب، بالرغم من حرصي على أن لا أعمل إلاّ في شركة لها سمعتها المشرفة التي لا غبار عليها، فكانت مشيئة الله الذي أكرمني أخيراً بالعمل في أحد المكاتب حين كنت مترددة يائسة من العودة إلى مزاولة أي مهنة، ولكنني قبلتُ هذه المرة لأن صاحب ذلك المكتب كان ممن نعرفه حسن المعرفة، وهو شخص فاضل مشهور بكرم أخلاقه، كما وأنه كان من نفس ملتي، فقبلتُ والخوف قد أخذ مأخذه مني.

ولله الحمد كان عملي هذا بعيداً عن الاختلاط بأجانب كثيرين، ويتميز بالهدوء، وكنت أحاول أن لا أتدخل أو أتجاذب مع أي مخلوق منهم أطراف الحديث، وما طمأنني أكثر هو أن العنصر النسائي في هذا المكتب كان هو الغالب لذا حمدت الله كثيراً على هذه النعمة، ومع هذا لم أحاول التحدث معهن إلاّ فيما يخص العمل، وهذا الانعزال كان يضايق البعض منهن فيعتقدن أنني متكبرة ومغرورة أو متعالية عليهن، ولكني لم أعبأ بما يقلن وبقيت أعمل وأشغل نفسي بما يخصني.

كان للمكتب مديران أخوان، الكبير فيهما هو ذلك الرجل الذي عُرف بحسن أخلاقه، وهو من طلب مني العمل بمكتبه، وأمّا المدير الآخر فكان أخوه الذي يصغره سناً، وقد كان هو الآخر سعيداً بعملي، وكان كلاهما يحاولان مساعدتي في تسيير العمل على الطريقة التي يرغبان،

وكنت ـ ولله الحمد ـ سريعة الفهم والاستيعاب والتعلّم.

ومضت الأيام على خير، ولكن بسبب ما تعرضت له من مصائب وهموم كنت دائماً في حذر وخوف، فكنت أخاف أن يأتي يوم كالأيام التي رأيتها في السابق ولكنني تعلمتُ مما سبق أن أعمل ليومي بإخلاص وتفانٍ فقط، ولا أفكر في رزق الغد وما يخبئه لي المستقبل، ولم أكن أهتم حتى بمقدار الراتب الذي سيعطونه لي.

وأصبحت أتعلّم الكثير من عملي ما ينفعني شخصياً، وبدأ شعاع الأمل يشق طريقه في قلبي المحطم بالرغم من أن قلبي كان يحدثني أن شيئاً ما لابد وأن يحدث لي.

وكان حدسي في محله، فقد كانت كلمات وتصرفات ذلك الأخ الأصغر لا تبشر بالخير، وبالرغم من ذلك كنتُ لا أعيره أي اهتمام، وأنصرف عنه إلى عملي إذا حاول أن يفتح أي حديث في غير العمل، إلاّ أنه كان يكن كل احترام لي، ويعاملني على أنني كأخت له، وذلك لأنني أتيتُ عن طريق معرفة الأهل، ومع ذلك كنتُ أكثر حذراً منه وأعطيه دوماً الانطباع الجاف حتى لا يطمع، ولكنه كان لا يملّ من تصرفاته السمجة الحمقاء بالرغم من أنه متزوج من امرأة يُضرب بها المثل في الأخلاق، والحسب والنسب الطيب، وله ذرية طيبة، وهو أكبر مني بكثير، وقد أنعم الله عليه بالجاه والخير الوفير.

فكنت أعجب ماذا يريد هذا النوع من البشر أكثر من هذه النعم التي يغدق الله بها عليهم حتى تدنو أنفسهم الدنيئة على ما ليس لهم به حقّ، وكأنهم لا يعرفون، بل إنهم حقاً لا يعرفون قيمة هذه النعم، إن الأولى بهم أن يشكروا ربّهم ليل نهار على تلك النعم، ويعرفوا فضل الله عليهم، وإن هذه النعم ابتلاء من الله ليراهم يشكرون أم يكفرون؟!

سبحان الله ، فبرغم كل ما أعطاهم ويعطيهم الله من نعم بالحلال ، لا زالوا يطمعون فيما ليس لهم به حق للنيل منه بالطرق المحرمة ، وماذا يجنون من إيذائهم للناس وملاحقة أعراضهم؟

ألا يخافوا سخط الله عليهم وزوال هذه النعم عنهم؟

فقد دخلت مكتبه يوماً لأعطيه بعض العمل الذي طلب مني أن أنجزه له ، وبعد أن انتهى صار يسألني أسئلة ليست لها علاقة بالعمل وبطريقة غريبة صعقتني الدهشة ، فقد سألني : هل أنت مرتبطة بعلاقة؟ وما رأيي به شخصياً؟ وأمور أخرى أحسست من خلالها أنه يريد أن يستعرض عضلاته ومؤهلاته أمامي ، وكأنه يتساءل بينه وبين نفسه ، وهو ينظر إليَّ باستغراب لملامح البرود ، والغضب والدهشة التي ارتسمت على وجهي ، وكأنه يقول : مَن أنت حتى لا تحاولي ملاطفتي أو التقرب مني؟

فبرأَيه أنه إنسان متكامل من جميع النواحي ولا ينقصه شيء ، وهو رئيسي في العمل مع شدة إعجابه بنفسه للمؤهلات التي يملكها ، لماذا لا تعطيه هذه المخلوقة الضعيفة ذات الأهمية التي يراها لنفسه؟

أمّا أنا فقد أحسستُ في هذه اللحظة أني كمن كان متعلّقاً بخيط من الأمل ، والآن انقطع ذلك الخيط على حين غرّة ، أو أنّ صاعقة قد نزلت عليَّ فلم تُبقِ منّي شيئاً ، أو كمن هوى من أعلى القمة إلى وادٍ سحيق .

الصدمة الأخيرة

وفي تلك اللحظة صار كل شيء يتهاوى أمامي . . كل المبادئ . . كل القيم . . كل الأخلاق، حتى حين كان يتكلم كنتُ لا أسمعه، كنتُ كمن فقد حواسه، أو أنني على وشك أن أشل أو أموت، وبرغم كل ما حصل لي حاولتُ أن أستجمع ما بقي لدي من قوة، واندفعتُ خارج المكتب، وعدتُ إلى مكتبي أتظاهر بأن شيئاً لم يكن.

وأمّا ما حدث بداخلي فلم تكن إلاّ غصة مريرة تعقد لساني، وتضيق منها أنفاسي، وتعصر قلبي من شدة الألم، ولكن لم أجبه على أيّ من أسئلته، واكتفيتُ بإجابته بجملة واحدة ـ بعد أن استجمعتُ قواي كي لا أنهار أمامه ـ وهي: إنني هنا كي أؤدي عملي.

وخرجت من مكتبه وعلامات الاستفهام تملأ ما تبقى لي من عقل أعي به ما حولي، مرددة مع نفسي: لماذا أنا بالذات؟ ولِمَ كل ذلك يحصل لي كلما عملت في مكان؟؟ إن المكان يتغير والوجوه تتغير، ولكن النفوس الضعيفة لن تتغير، لمَ يحاولون إغوائي ولا يتركونني أعيش بسلام؟!

خرج المدير في أمر عاجل، وأنا توجهتُ إلى مكان خال كنتُ أستغله أحياناً للصلاة وألتجئ إلى ركن فيه، فجلستُ على الأرض وأجهشتُ بالبكاء المرير ـ لا شعورياً ـ لما يحصل لي وأخذتُ أندب حظّي العاثر لما ألاقيه من الناس، ولا تزال التساؤلات يضج بها عقلي الذي أوشك على الانفجار، فما حصل لي في تلك اللحظات جعلني أتذكر كل همّ مررتُ به

في حياتي، وكنت أحاول تناسيه كي أستمر فيها ولا يصبني اليأس، ولكن الآن كل شيء في نفسي قد تكسر، ولا أمل في إصلاحه . . فقدت الثقة بنفسي وبمن حولي، والحزن يكاد يقضي على ما تبقّى مني، ولا زلت أبكي وأنتحب لما آل إليه حالي وأشكو إلى الله.

وهنا تذكرت قصة سيدنا يوسف ﷺ حين حاولتْ امرأة العزيز أن تراوده عن نفسه فاستعصم، وأبى وشكا حاله إلى الله، وطلب منه أن يبعدها عنه، وأن لا يصبو إليها فيكون من الخاسرين.

نعم، إن الإنسان لابد أن يعتبر بما مر على الأنبياء كي يحذو حذوهم ويقتدي بهم، وأنهم خير أسوة لنا حين نتذكرهم فتهون علينا مصائبنا.

عندها دعوت الله بنفس دعائه، وطلبت منه أن يكفيني شر كل من يريدني بسوء، وأن يبعدني عن هذا المكان إن كان في ذلك خير لي، فما عدت أستطيع تحمل ما يحصل لي من هؤلاء البشر، وقررت في ساعتها أنه إذا استمر هذا الإنسان على نفس الحال سأتوكل على الله، وأقدم استقالتي والله الغني الحميد.

وكانت آخر صدمة تعرضت لها قبل الهداية إلى الحجاب؛ وكان هذا الموقف أيضاً تذكرة من الله، بل وتيقنت أنها التذكرة الأخيرة، والتي إن لم اتّعظ منها، وألحق بركب التائبات فإن العاقبة ستكون وخيمة، وأحسست لحظتها كأن الله يخبرني أن الباب لا يزال مفتوحاً فتوقعي مضايقة الناس لك ما حييت، فمظهرك لا يزال يبيح لهم التحرش بك ومضايقتك، ويوَحي لهم أَن كل ذلك مسموح مادام الباب غير مغلق، ولم يضرب حجاب بينك وبينهم.

فلابد من الحجاب! فهو المنقذ مما تعانين منه، وبه يغلق الباب وتعرف حرمة هذا المنزل، ولن يستطيع أحد أن يؤذيك بعد الآن . . نعم إن النجاة في الحجاب . . والسلام في الحجاب . . ولا تكَفي الثقة بالنفس وحدها، وهذا أساس المشكلة التي كانت تدمّر حياتي . . .

الفرج القريب

عندما كفكفتُ دموعي الحارّة، وسجدتُ لله شكراً على إعطائي البصيرة والهداية إلى الحل، أحسستُ أنه قد مدّني بالقوة والعزيمة لإنهاء مأساتي.

وخرجتُ إلى مكتب العمل بالرغم من إحباطاتي، ويأسي من كل شيء إلاّ من رحمته تعالى.. متفائلة بأن الفرج سيكون قريباً جداً إن شاء الله.

وبعد أيام حطّت ركاب البركة رحالها عند مكتبنا، بقدوم وتشريف أحد السادة العلماء من سلالة الطهر والعصمة.. سلالة أهل البيت عليهم السلام.

بالرغم من صغر سنّه فهو يلقي المحاضرات والدروس الإسلامية في مجالس عزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

كان نور وجهه وهيبته قد غمرتْ كل ركن في المكتب حتى بدا كالصبح المنير، فمن شدّة هيبته ووقاره كنتُ أخجل أن أباشره النظر، وكأنما قبس من نور ذلك الوجه الكريم قد تخلل إلى وجداني، فأحسستُ بالراحة العظيمة التي لم أطعمها يوماً في حياتي.

جاء ليقابل المدير العام، ولكنني ارتبكتُ وتلعثمتْ الكلمات في فمي، وأنا أحاول الترحيب به، ولم أستطع الوقوف على رجلي لأوصله إلى مكتب المدير لشدة حيائي من وقاره، وأنا ممن يجب عليها التزام الحشمة والوقار والحجاب.

الأوْلى
أن أخجل من اللّه

إن حقيقة خجلي كانت لأمرين، الأول: لأنه كان من سلالة أهل البيت ﷺ ولأنه عالم دين، وكلنا يعرف مكانة هؤلاء العلماء ومنزلتهم عند الله وفي قلوب محبيهم.

والثاني: الشعور بالمهانة والذي جعلني أشعر من شدة الحياء لو أن الأرض تبتلعني ولا يراني مولانا بهذه الصورة القبيحة، وخجلت أكثر وأكثر حين تذكرت الله، الذي هو أوْلى بالخجل منه.

فالله أقرب من أي إنسان وهو المطلع على الخفايا، وأما هذا السيّد الكريم فهو واحد من خلقه ﷻ. فَمَن الأوْلى أن أخجل منه، الخالق أم المخلوق؟!

كل هذه الأفكار تزاحمت في رأسي، وحين أفقتُ منها وجدته قد دخل في مكتب المدير، ومكث قليلاً وأنا في الخارج أحس وكأن جمرات الخجل أخذت تستعر في كياني وتحرق بدني، وبقيت في مكاني متجمدة لا أتحرك إلى أن غادر المكتب، ولم يرفع عينيه لخجله من منظري، ولأنه أُدّب بأدب آل البيت المكرمين عن رؤية المعاصي.

نعم كنتُ أنا المعصية التي يجب أن يتجنب رؤيتها كل مؤمن، هكذا كان شعوري حين غادر السيد العالم المكان، وحين خرج أحسستُ أن المكان عاد إلى ما كان عليه قبل أن تطأه قدماه الطاهرتان.

رجعتُ إلى منزلي وأنا مستغرقة بالتفكير فلا زلتُ أعاني من موقف المدير الأصغر معي وخوفي مما هو آت، وتفكيري بالحجاب كان كالبركان في ذاتي قد عَجّ بالصخب والضجيج والدخان المتراكم، معلناً قرب ساعة الانفجار.

من يتقِ اللّه يجعل له مخرجا

وبعد أيام اتصل ذلك السيد الجليل ليسأل عن المدير لأمر ما، فانتابني شعور بالارتباك حين سمعتُ صوته الكريم، وكأن قطعة جليد قد احتوتني من كل جانب، لما لأهل البيت عليهم السلام من حبّ ومنزلة خاصة في قلبي - وهذا من ذريّتهم - فما استجرتُ بهم عند أي شدّة أو رخاء إلاّ كانوا خير مجير.

كنتُ أودُّ المزيد من التعرّف على علومهم ومعرفة مناقبهم، ومواقف الحق التي وقفوها دون أن يخافوا في الله لومة لائم، وعن سيرتهم العطرة، وعن مصائبهم التي كم تعلمتُ منها الصبر على المتاعب التي كانت تهون حين أتذكرها فهذه واقعة الطف الكبرى وما جرى على الحسين سيد الشهداء وأهل بيته عليهم السلام، الأبطال في الصبر، والرضا بما كتبه الله لهم.

إن مَن يعرف حجم هذه الفاجعة الكبرى سيهون عليه كل همّ وبلاء، فهم أكثر مَن ظُلموا في هذه الدنيا، وهم المستضعفون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

كان السيد الفاضل ممن وهبهم الله نعمة الإحساس بمعدن الإنسان الذي يتعامل معه من أول وهلة، ربما لما له من المكانة العالية عند الله، لأن

---

١ ـ إشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لبني هاشم: (أنتم المستضعفون بعدي). بحار الأنوار: ج٢٨ ص٥٠، وقد أشار إلى ذلك علي أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: (... فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليَّ، منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا) نهج البلاغة: الخطبة٦.

الله إذا أحب إنساناً رضي عنه ومَنَّ عليه بهذه النعمة، فهذا ما شعرت به حين اتصل ذات مرة يسألني عن المدير وأخبرته أنه غير موجود، ثم طلب مني الإذن أن يسألني في أمر شخصي ـ وقد كان في غاية الأدب والخجل ـ فقال بلطف: يا أختي لماذا لا ترتدين الحجاب؟؟

لا يمكن لأحد أن يتصور كم شعرت بالخجل؟ وكم كانت مفاجأتي بهذا السؤال كبيرة؟ فهو لا يعرفني ولا يعرف ما سيكون جوابي له، وبالرغم من كل ذلك سألني هذا السؤال استفهاماً، وليس استجواباً أو استهزاءً أو احتقاراً لمظهري.

عند ذلك أحسستُ وكأن هاتفاً صرخ صرخة اهتزّ لها كياني، يقول الهاتف: «ها قد جاءت النجدة من الله فإلى متى العصيان والسفور، كفاكِ ما جرى عليكِ من مصائب بسبب عدم ارتدائك الحجاب!!».

نعم وهكذا بدأتْ رحلة «الحجاب» وتأكدتْ لي حقيقة الآية القائلة: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ...﴾**[1].

١ ــ سورة الطلاق: الآيات ٢ ـ ٣.

المؤمن الغيور

إني تفهمت طبيعة سؤال السيد الجليل هذا كنصيحة مؤمن يغار على أخته المؤمنة، ولقد التقت نصيحته الملهمة مع النية في قلبي، إذ كنتُ أريد أن أشرع في تنفيذها هذه المرة بكل إصرار وصدق، وكأنه كان يحس بما أعانيه بالرغم من أنه لا يعرفني، إنها الحكمة التي يلهمها ربّنا عباده الصالحين، فكان يحملها إليَّ ليصرّح: أن الدواء لما تعانين منه هو الحجاب فأسرعي ليُذهب الله عنك الهم والحزن الذي تقاسين مرارته بصمت مميت.

بالفعل كنتُ أعاني من التردد في اتخاذ قرار التحجب، ولأن نواياي كانت - ولله الحمد - متوجهة إلى الله فقد أشفق عليَّ ربي، وألهم صالحاً من عباده يسعفني كيلا أستمر في جهلي وغفلتي، فاتخذتُ موعداً مع التوبة.

الله! ما أرحمك يا ربي! إذ تذكّر غافلة مثلي إلى التوبة والهداية والصلاح، وهي كلّما اعترتها حادثة لم تنتبه لتعود إلى رشدها، وكأن لها التطوّل عليك سبحانك، فما أحقرنا من بشر ضعيف مغلوب على أمره، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضُراً، غارقاً في الجهل والعناد!

فقد كان السيد الفاضل - أطال الله في عمره - يخجلني في أدب سؤاله ونصحه، وكأنه ملك أرسله الله ليهديني إلى سبيل الرشاد، وليضاعف له الأجر على صدق إيمانه وتقواه وتحمّله مسؤولية هدايتي، وتوصيل النصح لي بكل أمانة وصدق وإخلاص.

تلك المسؤولية الكبيرة التي اختار القيام بها بكل رضى واقتناع حباً لله

ولأهل البيت ﷺ ولغيرته عليَّ وعلى مثيلاتي من خطر الضياع، ولم يكن السيد الجليل ليسال عن أجر على إنقاذه لي فأجره على الله، وهنيئا له به، فإنه الأجر الذي لا يقدّر بكنوز الدنيا.

أسأل الله أن يعطيني بعض هذا الأجر، ويعطيك أختي القارئة حين تهتدين وتهدين أخواتكِ إلى ما يرضي الله، فهذا العملَ أحبّ إلى الله من أي عمل، فهو الذي أوحى إلى نبيه موسى ﷺ: **(فإن تردّ آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي أفضل من عبادة مائة سنة صيام نهارها، وقيام ليلها، قال موسى: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال تعالى: العاصي المتمرّد)**[1].

لقد كان السيد الناصح لي، قمّة في الأدب والوقار والأخلاق، وقد مَنّ الله عليه بقدرة الإقناع، نادراً ما تتوفّر في إنسان .. أسأل الله أن يتمّ ويديم عليه هذه النعمة، ويرزقه نعمة العلم والنور والاجتهاد في هداية كل ضال وإصلاح كل فاسد، ويصبّره على مداومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعل البركة والخير في كل أرض تطأها قدماه الطاهرتان.

وحين رأيتُ هذا السيد، أحسستُ أن تلك معجزة لأهل البيت ماثلة أمامي بشخص حفيدهم الكريم حيث أشفقوا على حالي، حال البريئة في ضياعها فجاءوا لنصرتها.

فشممتُ من مقدمه الكريم عبق زمن النبي العظيم ﷺ .. زمن العدل والحق والرحمة والستر والكرامة لكل مخلوق .. وكأنهم أرسلوا أحد أحفادهم الأجلاّء بأمر من الله تعالى ليهب لي قبساً من نور الهداية الذي لا يعرف قيمته إلاّ مَن حُرم منه ـ أمثالي ـ.

---

١ ـ كلمة الله للشهيد الشيرازي: ص١٥٤، والآبق: العبد الفار من مولاه.

وتحجبت ...

وصار يحثّني ويشجّعني ويزرع الأمل في قلبي: بأن الله غفّار توّاب، يغفر كل ذنب ماعدا الشرك به، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1]، وأنه يمكنني اللحاق بسفينة النجاة والاستنارة بمصباح الهدى.

فكلما كان يحدثني عن الهداية، أحفظ كل كلمة يقولها لي دون أن أشعر، وحين أرجع إلى منزلي أجد نفسي تحدثني وتحثني هي الأخرى على ذلك الحديث، والمبادرة إلى خطوة التوبة العملية المنقذة، حتى امتلكتْ أحاديثه عقلي ووجداني وأخذتْ تتملّك كل جوارحي وجوانحي، بل وأحسّ بصوت يرتفع صداه في نفسي شيئاً فشيئاً ويصرخ: الحجاب هو المنقذ.. العفاف هو المنجي، فهلمّي قبل فوات الأوان.

كنتُ أحس وأنا أنصتُ إليه وإلى الدروس والعبر التي يتفضل بها عليَّ، بشيء كالماء البارد يغسل قلبي وروحي ووجداني وكلّ قطرة في دمي، بل وكلّ خلية في بدني.

كان ـ جزاه الله كل خير ـ يهوّن ويسهّل عليَّ كل أمر يتعلق بهذا الموضوع، كأنه كان يعدّني ويهيّئني لمرحلة الخلاص الأخير، بل ويجهّزني بأقوى العتاد والسلاح لأتحصّن به، وأحترز به من عدوي، ومما سيواجهني

---

١ ـ سورة النساء: الآية ٤٨.

في المستقبل . . صرت أستحضر كل معاناتي والمآسي التي مررت بها وأنا سافرة، وأسأل نفسي: ماذا أخذت من السفور غير المتاعب، وتدنّي الحال، وقلة القيمة، والقهر، والهمّ، والغمّ، واقتراف الذنوب، واليأس، والاكتئاب؟

ماذا أنتظر بعد؟

هل مزيداً من التعاسة والشقاء؟!

وبدأتُ أشعر بشيء من إكسير الإيمان يتوغل في داخل كياني، ويزيد من عزيمتي وقوّتي، والله إنها المرة الأولى التي أشعر بالثقة بالنفس وقوة الإرادة، والقدرة على تحمّل المسؤولية فلن يثنيني أحد عن المضي قُدماً في اتخاذ ذلك القرار لشدّة اقتناعي بصحته وصدقه، وثقتي بأنه القرار الذي كان عليَّ أن أتخذه من بداية إدراكي لمعنى عبادة الله ووجوب طاعته، فهو أوّل الطريق إلى رضا الله، وهو الموقف الذي أحسستُ بأن كل ما في وجودي يحثّني على اتخاذه.

وكان الحجاب أوّل قرار مضيتُ به بكل ثقة وعزم وثبات دون تردّد أو قلق، وصرختُ حينها بأعلى صوتي: لا للسفور ولعنته وشقائه بعد الآن.

وقطعتُ عهداً على نفسي أن يكون ذلك في يومين، ولكن السيد الجليل كان أكثر إلحاحاً لمعرفة موعد التوبة النصوح فما زال يحثني ويُلح عليَّ حتى أخبرته أنني على أتم الاستعداد خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وكان حديثنا هذا في يوم الثلاثاء ووعدي يُفترض أن أُنفّذه يوم السبت.

ولكنني لم أصبر حتى يوم الخميس أو الجمعة، فقد أحسستُ ـ بعد مكالمة السيد الفاضل ـ وشعرتُ بشوق جارف ليس له حدود يجتاح وجودي كلّه . . وكل نبضة في عروقي، فالشوق تملك وملأ كل جوارحي وجوانحي وراح يدفعني، ويرغبني في ارتداء الحجاب الآن . . الآن . . الساعة . . الساعة . . وأصبحتُ متلهفة لشراء لباس الحجاب الصحيح

بأسرع وقت ممكن.

فحينما رجعتُ إلى المنزل طلبتُ من والدتي بكل عزيمة وإصرار أن تذهب معي فوراً لشراء لباس الحجاب، لأنها محجبة وهي خير من يساعدني على ذلك، وكانت مفاجأة كبرى بالنسبة لها فقد كان أسرع قرار اتخذه في حياتي، مع الإصرار على تنفيذه، مما جعلها تخاف أن أرتديه وأنا متسرّعة وبعد فترة تهن عزيمتي وأتراجع عنه.

إلاّ أنني كنت من أعماق وجودي قد أعطيت الله ميثاقاً غليظاً، لا يحق لي أن أتراجع عنه أبداً.

فكلما رفضتْ أمي أو تهاونتْ عن الذهاب إلى السوق صرتُ أشد تصلباً في رأيي وإلحاحاً إلى أن وافقتْ بعد أن تيقّنتْ أنني لا يمكن أن أتخلّى عن هذا القرار، وسأرتدي الحجاب حتى وإن لم تساعدني على ارتدائه هي، فيقع الذنب عليها في تثبيط عزيمتي، فلم أدع حجة ولا حديثاً أو قسماً إلاّ وأبلغته إيّاها حتى تتأكد من صدق نيّتي وتوبتي، وأخيراً ذهبت معي.

وحاولتُ أن أتبع كل النصائح والوصايا التي تفضّل بها عليَّ السيد الفاضل، والتي يجب عليَّ إتباعها في اختياري لثوب الحجاب، فبعون الله الهادي عزمتُ وبه استعنتُ، وعليه توكلتُ، والحمد لله قد وفيتُ بعهدي.

وأخيراً ارتديتُ رداء النور والهداية والطهر، واغتسلتُ غسل التوبة، وشكرتُ الله على الهداية وسألته دوامها، وقد كنتُ أستبشر بيوم الجمعة فنويتُ ارتداؤه في يوم الجمعة[1]، وفعلاً توكلتُ على الله وسألته أن يتقبّل مني ويتوب عليَّ ويقبلني في رحابه.

ولما كنتُ أخرج وأسرتي، مرتدية حجابي، كانت البداية لكل خير.

---

١ ــ وإن كان في التأخير خطأ فادح، فالخسران كل الخسران لو حلّ الموت بالإنسان ولم يكن قد مشى نحو التوبة بخطوات مطلوبة، ففي الآية الشريفة: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كسبَتْ في إيمانها خيراً ...﴾ سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

بعد الحجاب

هنا تبدأ المرحلة الثانية من حياتي، وهي مرحلة الحجاب وأثره الكبير في تغيير مسار الحياة عندي، ووصولي إلى حالة الرضا والسعادة النفسية، والأمل الذي عاد يسكن قلبي الصغير المحطّم من جديد.

وكانت مفاجأة كبيرة فوجئت بها أسرتي، لكنهم باركوا لي هذه الخطوة، وباركوا فيَّ هذا الإصرار، ومع ذلك كانت تعلو وجوه الجميع مسحة استغراب لهذه الخطوة التي لم أخبر أحداً بها من قبل، فكل شيء حصل فجأة، ودون سابق إنذار، وبين ليلة وضحاها أصبحت محجبة والحمد لله.

أحسستُ وأنا أرتديه للخروج إلى العمل، بأنني الآن يمكن أن يُطلق عليَّ لقب الفتاة المسلمة بالمعنى الصحيح للكلمة، فأعتزّ حينئذ بأني من أمة النبي محمد ﷺ، خير أمة أُخرجت للناس.

وقد كثرتْ حولي وتباينتْ ردود فعل الكثيرين من المعارف إزاء أمر الحجاب، وكيفية حدوث هذا التغيير الجذري، وبهذه السرعة وبدون أية مقدمات يرونها! فبعض من الذين أتعامل معهم صار يهنئني، والبعض الآخر يعاتبني وينصحني للعدول عن رأيي «المتخلف بنظرهم» وكانوا هم الأغلبية[1].

---

١ ـ ﴿... وأكثرهم للحق كارهون﴾ سورة المؤمنون: الآية ٧٠.

وكان على رأسهم ذلك المدير الذي كان أشدّ الكل صدمة من التغيير، الذي حدث لي وأشدّهم خيبة أمل، لأنه فهم الآن إجابتي الحاسمة، وصار الجميع ينظر إليَّ بدهشة وكأنه قد أصابني مسّ من الشيطان ـ والعياذ بالله ـ أو كأنّ ما فعلته بنظرهم زادني قبحاً، وأنني كمن دفن نفسه في عز شبابه، أو أنني سأغادر الدنيا أو شيء من هذا القبيل . . . .

فالأغلبية كانت تحاول أن تثنيني عن قراري، ولكنهم لم ولن يؤثروا عليَّ بكلامهم المعسول، فلم يهتز لي طرف، ولم يزدني ذلك إلاّ إصراراً ورغبةً وتمسكاً في الحجاب أكثر مما سبق.

وأقبلت البركة

لم أذق طعم الراحة والطمأنينة أو أنعم بها ، إلاّ بعد ارتدائي الحجاب ، فضميري قد استقر بعده ، ولم يعد هناك ما يؤرّقني أو يخيفني من مغبّة أن يدركني الموت وأنا لا أزال غير محجبة ، أو أتحسّر على ما حصل بسبب شعوري من انزلاق بعض الشباب في النظرة الحرام أو الكلمة المحرمة ، وأبوء بإثمه ، فيزيد غضب الله عليَّ ، وأُجزى بالخسران العظيم .

فقد انتهت أيام وسنين العذاب النفسي ، وعادت السكينة تغمر قلبي ووجداني ، وحتى أمور حياتي قد اتضحتْ لي أكثر ، وكل عللي شفيت منها ، وعادت إليَّ نعمة التوازن الطبيعي الذي أوجده الله في أنفسنا حيث الفطرة السليمة التي تسلم بوجوب طاعة الخالق واتباع أوامره ، والابتعاد عن كل ما نهى عنه .

إنني الآن أكثر تعقّلاً ، فما عدتُ أتصرف برعونة وتهوّر كما في أيام السفور اللعينة لا أعادها الله عليَّ وعلى أية مسلمة .

ومن بركات الحجاب التي مَنّ الله عليَّ بها ، أنني أصبحتُ أفكر بهدوء وتدبر ، وأعطي الأمور حقّها في التروّي والتمهّل والتعقّل ، وأصبحتُ أكثر تمييزاً للأمور التي تنفعني من تلك التي تسبب الضرر لي ، حتى في طريقة تعاملي مع أهلي الذين أصبحوا يعتبرونني محل ثقتهم وفخراً لهم ، فالحجاب يُضفي على صاحبته الرِفعة والوقار ويبعثُ على الثقة .

وهدأتْ نفس والدتي التي كانت متأزّمة كثيراً بسبب طول صمتي المميت الذي كان يمزّقني حين كنتُ سافرة .

إن احترام الناس لي قد زاد عمّا قبل والفضل كلّه يرجع للحجاب الذي فَرَضَ عليهم احترام كرامتي وكياني ووجودي .

وصار الجميع يحسب ألف حساب حين يريد أن يتحدّث إليَّ في شؤون العمل وغيره ، مما زاد من قوّة ثقتي بنفسي ، وثقتي باتخاذ أي قرار في حياتي . . في المنزل وفي العمل ، ومع الكل دون تردد ، فقد وضعتُ لهم الحدود التي تلزمهم بعدم تخطّيها أو تجاوزها معي .

وهكذا صار الحجاب يحميني من كل شرّ وسوء ، قد يعترضني في مسير حياتي ، فما أعظمه من حصن منيع ! فأنا أشعر بأنه لازال يطهرني أكثر فأكثر ، وأصبحتُ أشتاق وأحرص على ارتدائه والتمسك به أكثر من ذي قبل ، بل وإنني صرتُ أفتخر به يوماً بعد يوم ، وأدعو الله أن يمنَّ به على جميع أخواتنا المسلمات الغافلات ، لينعمن بطهره ونعمة التمسك به ، ﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[1] .

ما أسعدني وأهنأ نومي من أول ليلة ارتديتُ فيها الحجاب ! والله إنها لأعظم وأجمل ليلة مرت في حياتي . . لم أقاسِ فيها الأرق والتعب والمرض والاكتئاب ، فوداعاً لكل أيام وليالي الشقاء التعيسة .

فأنا اليوم أقوى واشدّ ثقة بنفسي ، بل وإنني أشعر بأن أبواب الرحمة والرزق أصبحت مفتحة أمامي ، وربي يغدق عليَّ من فضله ورحمته من كل صوب وبكل لحظة .

ولكِ أن تتصوري أختي الكريمة كم هي السعادة والراحة النفسية التي

---

١ ـ سورة إبراهيم: الآية ٣٩.

أشعر بها ! بل إنها سعادة لا يمكن لمخلوق أن يتصوّرها إلاّ من يطعمه الله إياها ، أسأل الله أن تكوني ممن يطعمها الله هذه النعمة العظيمة إن لم يكن قد تفضّل عليكِ بها من قبل .

فقد كان هَذا القرار اختباراً لمدى قوّة إرادتي في مغالبة هوى النفس وشرورها ، ولله الحمد قد وهبني قوّة الإرادة حتى حقّقتُ أهم واجب كنتُ غافلة عن القيام به ، وبرحمة منه كشف الغشاوة عن عيني ، وكشف الضرّ عني ، وهداني إلى الصراط المستقيم .

الحجاب
في أسمى صورة

ولكي أكون أكثر وضوحاً معك - أختي العزيزة - في فهم مظهر الحجاب الإسلامي الصحيح، الذي أَمر الله رسولَهُ ليبلّغه أهل بيته وزوجاته ونساء المسلمين كما فصلته بعض آيات سورة الأحزاب التي أحاول أن أطبق تعليماتها تطبيقاً صحيحاً كما أُمرنا بها، والتي أتمنى منكِ أختي الحبيبة أن تقرئيها وتَتَمَعّني في كل ما تحمله من معان وعبر وهداية.

تقدّمي على أولى خطوات الحجاب إن لم تكوني قد خطوتِ نحوه بعد.

أمّا أنا فقد غطّيتُ كل شعري فلا يظهر منه شيء، ونبذتُ أدوات الزينة والمكياج، لأن شرط الحجاب الإسلامي الصحيح أن يكون الوجه خال تماماً من المساحيق التي ما وُضعَت إلاّ لتلفتْ إلينا الأنظار.. تلك الأصبّاغ التي تخفي الجمال الإلهي الحَقيقي الذي وهبنا الله إياه **﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ...﴾**[1].

علماً أن مكوّنات المساحيق تؤذي البشرة الجميلة النَظرة، وتؤدي بها إلى الترهّل والشيخوخة المبكرة، لما تحتويه من مواد كيماَوية ضارة تمنع تنفس البشرة وتحجب الهواء والشمس عنها.

والحجاب هو الستر وعدم إظهار المرأة لمفاتن جسدها للأجنبي، وإبعاد نظرة الحرام عنها، ولا يتحقق ذلك إلاّ بما يلي:

---

١ ــ سورة البقرة: الآية ١٣٨.

أولاً : أن يكون الحجاب ثوباً فضفاضاً لا يفصّل معالم الجسد ولا يبرز مفاتنه[١] .

ثانياً : غير لامع أو ذو ألوان مبهرجة تلفت النظر .

ثالثاً : عدم وضع أي نوع من الزينة الخارجية كالأساور والحلي التي تلفت النظر أيضاً[٢] .

رابعاً : لا تتطيّبي بالعطور عند خروجك من دارك[٣] ، ولك أن تضعي ما تشائين عندما تكوني في بيتك مع زوجك ، فلا جُناح عليكِ في ذلك ، ولا بأس إن كان ذلك يسرّ زوجكَ ويقرّبك إليهَ .

وحتى الحذاء يجب أنَ لا يكونَ ذا كعب يُصدر صوتاً فيُعلِم عن وجودك[٤].

وبشكل عام فإنه يجب عليك أن تتحلّي بآداب الحجاب وتتخلّقي بأخلاقه ، فلا تتحدّثي بصوت عال ، وتمازحي الأغراب كأن تنادي فلاناً بتغنّج ورقّة وتضاحكي فلاناً ، فالقرآن الكريم حذّرنا من كل ذلك ، مما قد ينجم عنه من المفاسد ، فقد جاء فيه : ﴿... فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٥] .

---

١ ـ في العروة الوثقى: ج١ ص٣٩٠ تحت عنوان «فصل في الستر والساتر» ما يلي: (ويجب ستر المرأة تمام بدنها عمّا عدا الزوج والمحارم إلاّ الوجه والكفين). وعن الإمام الصادق عليه السلام قد سُئل عمّا تظهره المرأة من زينتها؟ قال: الوجه والكفين. وسائل الشيعة ج١٤ ص١٤٦ .

٢ ـ في بحار الأنوار ج١٠٠ ص٢٤٣ (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتزيّن المرأة لغير زوجها، فإن فعلت كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يحرقها بالنار).

٣ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (أية امرأة تطيّبت ثم خرجت من بيتها فهي تُلعن حتى ترجع إلى بيتها ...) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٤٧ .

٤ ـ ورد في القرآن الكريم: ﴿ولا يضربن بأرجلهنَّ ليُعلم ما يخفين من زينتهن ...﴾، سورة النور: الآية ٣١.

٥ ـ سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

إرشادات نبوية ...

وفي السنّة النبويّة: **(نهى رسول الله ﷺ أن تتكلّم المرأة عند غير زوجها أو غير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات مما لابد لها منه)**[1]، والمراد من «خمس» هو القلّة، أي أن يكون مجال الكلام مع الأجنبي في حدود الضرورة، والأكثر منها يكون مثاراً للفتنة، وقد تكون النتائج غير محمودة العواقب، كما هو ملموس للجميع.

فصوتك يعتبر عورة، وهذا الصوت العالي إنما هو من مخلّفات وطباع الغرب المَبتذلة الدخيلة علينا، والتي أتلفت عقولنا وأبخست قيمة حياء المرأة، التي لابد وأن تكون في مظهرها وجوهرها رمزاً للوقار والحشمة، فالصوت المنخفض يزيدها كرامة، ويجعلها أكثر احتراماً في نظر العقلاء من البشر، ويزيد نفور الجهلاء منهم عنها.

والخلاصة التي أريد أن أوصلك إليها من كل ما سبق ذكره عن المظهر الإسلامي الصحيح للحجاب هي: أنَ الحجاب ستر ورفعة وسموّ أخلاق، وأن تقوى الله ليس في وقار وحشمة المظهر فقط، وإنما يَجب أيضاً أن يكون حجابك مرآة تعكس طهر باطنك، وحينها ستحسّي برضا الله ﷻ، ونوره يعمر قلبَك، ويشعّ من وجهك في صَدقك مع نفسك، وفي تعاملك مع الغير، وحسن تصَرفكِ ضمن الحدودَ التي وضعَها الله وبيّنَها لكِ، فلابدّ للمظهر

---

١ ـ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٤٣.

أن يوافق الجوهر.

ولكن الجهلة حين يرون هيئة المرأة الوقورة، إنما يأكل قلوبهم الحسد لشعورهم بالنقص وقلّة الاحترام، لأنهم يتمنون لو كانوا بمثل هيئتها ووقارها فيحترمهم الناس، وبسبب هذا النقص الذي يشعروه، يظهرون عكس ما يبطنون، فتارة بالاستهزاء والسخرية وأخرى بالاغتياب، وهو الصنع الوحيد الذي يحسنون أدائه، والله تعالى يقول: **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾**[1].

وقد قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ ... فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فكل نقيصة يرمون بها تلك المؤمنة المحجبة، إنما هي ميزة ومكرمة لها في واقع الأمر.

وهذا ما حصل لي بالفعل فالعقلاء هم الذين باركوا لي هذه الخطوة، وأمّا الجهّال أصبحوا يتذمّرون مني، أو يبتعدون عني، ولا أشعر بالندم على ابتعادهم، وهم مع كثرة جهلهم ينصحونني بالرجوع إلى السفور، لاعتقادهم الخاطئ بأن الحجاب سيحرمني من تقبّل الناس ـ لشكلي الجديد ـ فهم يرون في سفوري جمالاً.

نعم إنه جمال ولكنه لذئاب البشر التي تفترس الضحية ثم تمشي على أشلائها لتفترس غيرها . . وأخيراً اكتشفتُ حين ارتديتُ الحجاب تلك الحقيقة المؤلمة، فقد كانت هيئتي السابقة تجلب لي الاستحقار والمهانة، واليوم قد أسبغ الله عليَّ من نور هدايته وصانني بستره، ورفعني عن الابتذال الرخيص وطهّرني وشرّفني بحشمته.

---

١ ـ سورة المطففين: الآية ٢٩ ـ ٣٠.

نور القمر
ونور الحجاب

تعالي أختي المؤمنة أجسد لك قيمتك الحقيقية في هذا الكون، أرأيت القمر؟ ذلك الكوكب البعيد الذي يطل علينا كل ليلة .. تلك التحفة المتلألئة والمعلّقة بقدرة الله الذي يمسكها أن تقع على الأرض .. تنير وتزين السماء لحكمة أرادنا أن نعيها من خلقه البديع هذا، لنعرف المبدع العظيم الذي أبدع هذا الجمال، ومقدار الدقّة المتناهية في صنعه لهذه الآية، ولكل آيات الإعجاز التي نمر عليها يومياً مرور الكرام دون أن نعطي أنفسنا لحظة تفكير صادقة لهذه المعجزات التي سخرها لنا الخالق الجليل .. لنتمعّن في دلائل ومعاني خلقه.

ونعود للقمر، هل سألت نفسك ما سرّ جماله؟ وما الذي يزينه ويجعله بالنسبة لنا رمزاً للجمال والنور؟! فحين نرى وجهاً جميلاً أو أي شيء جميل، فإننا نشبّهه بالقمر .. فلماذا القمر؟

إننا لو نظرنا إلى طبيعة القمر الحقيقية فهو كوكب كغيره من الكواكب التي خلقها تعالى .. سطحه يشبه سطح الأرض، بل هو أقلّ تمهيداً منها .. مليء بالارتفاعات والانخفاضات وغير مستو .. وهو جافّ أجدب، حيث لا ماء ولا هواء ولا خضار ولا غلاف جوّي يحميه، وجاذبيته الضعيفة تساوي سدس جاذبية الأرض، ومع ذلك نتغنى بجماله .. إذن ما سرّ هذا الجمال؟؟

إن سرّ جماله هو ذلك النور المنبعث منه ، والذي هو في الحقيقة ليس من ذاته ، إنما يستمده ـ بقدرته سبحانه ـ من الشمس التي ينعكس نورها عليه فيشرق بهذا النور الذي غمر سطحه ، وبالتالي يسطع كمصباح في السماء نستنير ونهتدي به في الليلة الظلماء . . ويتواصل سير الحياة في هذه الدنيا ويتجلى لنا سر من أسرار حكمة الخالق في تكوير الليل على النهار فنزداد إيماناً وخشوعاً له . . فسبحان الخلاق الأعظم .

وكم يبهرنا بنوره حين يكون بدراً مكتملاً . . حيث يشع النور من كل جوانبه ، وكأن الله قد كساه بثوب ناصع البياض . . فيزداد حسنه ولا نرى أي شيء من تعرّجاته وتشوّهاته .

وأنت كذلك أختي الغالية . . فحجابكِ هو ذلك النور والضياء الذي يزيد من جمالكِ ، وليس سفوركِ الذي يجعلكِ مبتذلة للجميع ، والذي لم يقبل الله أن نظهر به كرامة لنا ، فأنعم علينا بنعمة الحجاب ليضفي علينا جمالاً حقيقياً .

فالحجاب يُظهر جمال الروح الداخلي . . جمال الجوهر ، فهو يخبر عن حُسنِ خُلقكِ وعن صفاء معدنكِ ، الذي يؤكده مظهركِ المحتشم الوقور ، فما لكِ والمَظهر المُشوّه الذي يضرّ ولا ينفع ! بل إنه يسبّب لكِ كل التعاسة والأذى وعدم راحة البال .

وماذا ستجنين من التعرّي والسفور غير طمع ذوي القلوب المريضة بكِ ، واكتسابكِ للذنوب التي يحاول الإنسان العاقل الواعي أن يتجنّبها على الدوام ، ويسعى إلى محوها بالطهر والستر ، والتقرب إلى الله من خلال طاعته وتجنب معاصيه .

والمرأة شأنها شأن الرجل ، تعرف بعقلها المتزن أنها لن تأخذ معها في نهاية المطاف غير أعمالها ، وليس مظهرها ، بل ستحاسب على مدى

التزامها بحجابها الذي اختاره الله لحمايتها ولصون كرامتها، بالإضافة إلى أقوالها وأفعالها.

وأمّا الجسد فهو طعمة للتراب، وتبقى الروح هي محور حديثنا وهي التي نحاول إظهارها وتطهيرها وتزيينها بكل ما يرضي الله حتى ترجع إلى ربها راضية مرضية[1].

فأنت أختي المؤمنة كالقمر، جميلة بذلك النور الذي أفاضه الله عليكِ وشرّفكِ به، فالقمر يستمدّ نوره من الشمس، لكن نوركِ تستمدّينه من نور الله خالق السماوات والأرض.

أتعرفين ما معنى ذلك؟

إن هذا يدلّ على علو مكانتك وكرامتكِ عند الله، الذي شرّفكِ بفيض نوره الذي أفاضه عليكِ، والحصن الذي حصّنكِ به من كل شر، والهدىٰ الذي اختاره لكِ لتصبحي سعيدة في الدنيا والآخرة.

فأخلصي النية وتوجهي إلى الله، واطلبي من نوره الذي أخبر عنه في الذكر العظيم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[2].

---

١ ـ في الحديث: أن جبريل نزل على رسول الله ﷺ وخاطبه: (يا محمد عش ما شئت فانك ميّت، وأحبب من شئت فأنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه)، كلمة الله: ص٢٥٠.

٢ ـ سورة الحديد: الآية ٢٨.

الحجاب
ودسائس الغرب

إن كل دسائس الغرب اللعين التي يحيكها ويدسّ سمّها في مختلف أمور حياتنا تحت شعار التحضّر والحرّيّة، وكل العواقب الجسيمة والنتائج السلبية التي جنيناها من مفاسد الأخلاق، وتدهور القيَم التي أرادها الله لنا ولم نحافظ عليها، كل ذلك إنما هو زَبَدٌ راب سيذهب جفاءً، وما ينفع الناس فيمكث: **﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾**[1].

فالدعوة للسفور ونشره بين الناس أحد أهم دسائس الغرب وسمومه، التي يحاول أن يقتل بها روح تلك الرسالة العظيمة - التي نحن بصدد شرحها وبيان أهميتها محاولةً منّا لإحياء مبادئها من جديد وترسيخ دعائمها - والتي يحاول هدم صرحها بمعاول تلك الشعارات الرخيصة، وبرامج الدعايات الإعلامية التي ينفث من خلالها سُمّه الخطير في النفوس، ولن يصلوا مرادهم مادام بيننا أناس لا يفترون عن قول الحق والدعوة إلى الله، كالسيد الجليل الذي اهتديتُ بفضل الله على يديه كما أسلفتُ.

فليستغوي الغرب أذيال الشيطان . . ضعاف النفوس والإمّعة، وكل المغضوب عليهم ومعاشر الضالين . . البعيدين عن رحمة الله ليغرقوا في

---

١ ـ سورة الرعد: الآية ١٧.

فسادهم، وليقوموا بحملاتهم الإعلامية المتحضرة، وما يقدّموه من بدع وضلالات أمثال عروض الأزياء الفاضحة الغربية على مجتمعنا . . وحفلات انتخاب ملكات الجمال حسب المقاييس التي يضعون شروطها حسب أهوائهم والتي لا تبرز من المرأة إلاّ الجانب الحيواني المادي فحسب، ليرضوا شهواتهم، ويثيروا غرائز الشرّ والفتنة في نفوس الشباب، ويشتتوا عقولهم ويضعفوا من عزائمهم التي ما أحوج أمتنا إليها لاجتياز محن هذا العصر، وليبعدوهم عن التمسّك بدينهم والمحافظة على ستر وعفاف أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم من هذه البدع والضلالات.

ولا زالوا يبذلون الملايين على هذه المحرّمات ليروّجوا بضاعتهم الفاسدة، والأرض تغصّ وتعجّ بالمجاعات، وضحايا الكوارث الطبيعية، والحروب، وهم لا يعيرون أي اهتمام لهؤلاء البؤساء!

إنّ ما يهمهم بريق الملك وسحر القوّة والوصول إلى السلطة، ومحاولة السيطرة على العالم بأسره والتحكم بمصائر شعوبه.

تجدهم بين الحين والآخر يفتعلون الأزمات في هذا البلد أو ذاك من أجل المزيد من النهب والإفساد.

ليت شعري إلى متى تدوم غفلة المسلمين؟

متى تستيقظ الأمة من سباتها العميق؟!

إنهم يحاولون بكل وسيلة الوصول إلى غايتهم . . متخذين ذلك المبدأ الميكافيلي الذي ينص على: أن الغاية تبرر الوسيلة، ولا يهم نوع الوسيلة سواء كانت بالخير أو الشر أو على حساب راحة الملايين وأرواحهم!!

ومن جهة أخرى نراهم يضعون العديد من اللجان والجمعيات الإنسانية التي وجودها وعدمها سيّان، ليؤكدوا لأذيالهم أنهم مع المظلومين والمنكوبين، ويصدرون القرارات والمعاهدات ـ التي هي حبر على ورق ـ

لتقديم المساعدة، كلجنة حقوق الإنسان، ومحكمة العدل الدولية، وجمعية السلام الأخضر التي تطالب بتطهير البيئة!

وكيف تطهر البيئة؟ وهم يدنسون القيم الأخلاقية، والمعاني السامية التي كرّم الله بها الإنسان، ليسلم وتسلم بيئته!

يطالبون بالسلام وهم من أوجد سياسة التسلح! وقدّم للعالم اختراعات القنبلة الذرية والنووية والجرثومية! ويطالبون بالعدالة وهم أول من استعمر وانتهك حقوق الإنسان الضعيف[١] .

---

١ ـ لمعرفة المزيد عن الانتهاكات التي قام بها دعاة الحرية وحقوق الإنسان راجع كتاب «التصدع العالمي» لمؤلفه «ل. س. ستافر يانوس» طبع دار طلاس دمشق.

الغرب يحرم المحجبات من حق التعليم

عجباً لدعاة الحرية الذين يتشدقون ويطالبون بحقوق الإنسان، ويزعمون بأن له الحق في التعبير، وإبداء رأيه وممارسة ديانته التي يعتقد بها دون أن يتعدى عليه أحد، لكنهم يقومون بإبراز وإعطاء المكانة المرموقة لكل إنسان يحاول أن يهدم الدين الإسلامي، ويستهزئ بمبادئه ويرميها بالتخلف[1].

بل وتوفير سبل العيش والمأوى والحماية والحصانة «الدبلوماسية» له، ويساعدوه على نشر افتراءاته ضد الإسلام.

من جملتهم ذلك الشيطان الذي ألّف كتاباً حمّله كل ما أمكنه من افتراءات، وأكاذيب على الإسلام، وعلى رسوله ﷺ، وقاموا بترجمة افتراءاته إلى أكثر لغات العالم المقروءة وطباعتها بمئات الآلاف.

والأخرى التي أمّنوا لها في السويد مكاناً سرياً لتأمن على حياتها حتى صار كل مسلم غيور يريد أن يكون له الشرف في إزهاق تلك الأرواح الشرّيرة الفاسدة.

إن من يطالبوا بحرية ممارسة الأديان والمعتقدات، نجدهم أوّل من

---

١ ـ ومن أمثلته ما يحصل في تركيا اليوم باسم الحرية، فلكل اتجاه أن يؤسس حزبه، وينمّيه، ويرشّح منتسبيه للانتخابات النيابية إلاّ الأحزاب الإسلامية، وحتى التي فيها مسحة إسلامية بسيطة فهي ممنوعة من الاشتراك في الانتخابات ..

يطرد المسلمات المحجبات من فصول الدراسة، ويحرموهن من التعليم، ويشوهوا المبدأ السامي للحجاب، ويزعموا أنه من مبادئ الإرهاب، كما أن ذلك حدث ـ وللأسف ـ في بعض دولنا العربية والإسلامية بحجّة أن الحجاب أو النقاب علامة من علامات التخلّف ويسبب العراقيل في الدراسة ويثير أعصاب هؤلاء المتحضّرين، وقد حُرمت بالفعل بعض الفتيات المحجبات من دخول قاعة المحاضرات في الجامعة.

هذا ولازالت تطفو على السطح الكثير من اللجان التي تقرع طبول ضلالتها، بهدف التبشير بآرائها وتشويه صورة الإسلام، ليتبعها كل أفّاك إمّعي وكل دجّال وصولي.

بل والأكثر من ذلك، نجد أن دعاة السّلام والعدل، هؤلاء المؤسسين لتلك المؤسسات واللجان والجمعيات هم أنفسهم مبتكرو ومطوّرو أسلحة الدمار الشامل، ويحاولون بكل وسيلة إضعاف الدول الإسلامية أخلاقياً واقتصادياً، وعلمياً، وعسكرياً، حتى لا تكون قوية، فتصبح مصدر خطر يهدّد سيطرتهم على العالم.

ولا زالوا يجرون التجارب البشعة، فيشوّهوا الطبيعة الخلاّبة، والأرض التي خلقها الله للبشر ليعيش عليها بسلام ورخاء.

ألا يعي العالَم المسلم أيّ تناقض يعيش فيه العالَم الغربي الماكر؟!

إنّ كل ما نستطيع فعله ـ وللأسف ـ أن نشجب ونستنكر ونعود إلى جحور الذل، التي ندفن أنفسنا تحتها، أو نخفي رؤوسنا كالنعام أمام عواصف الفساد، والفجور التي تعصف بمجتمعاتنا.

وحكّام الغرب يحتفلون بانتصاراتهم علينا، وبمستوى الدمار الفكري والتدهور الأخلاقي، الذي أوصلونا إليه، ويحصدون ثمار الفرقة التي زرعوها بيننا، ونحن نبارك لهم ذلك، ونتخذهم أولياء من دون المؤمنين.

ولا زالوا ينادون بالديمقراطية . . ومثالهم لها في المنطقة هو النظام الصهيوني اللقيط ، الذي يتخذونه درعاً لأعمالهم المشينة الدنيئة بحق الإنسان المسلم والإنسانية المعذبة .

وقد قرأتُ مرةً عن شخص غربي قُدّم للمحاكمة وأُلزم بدفع عشرة آلاف من الدولارات ، لأن جاره شكاه إلى السلطات ، حين رآه يخرج من منزله وقد ترك الكلب خارج المنزل ، ولم يبقه في الداخل حين هطلت الأمطار ! .

إنهم حاكموه بالغرامة دفاعاً عن حقوق وكرامة الحيوان ، إنها الكرامة التي تنعم بها كلابهم ، وتفتقدها شعوبنا التي تعاني من البطالة والضياع .

إن هناك الملايين من المشردين والمفقودين ، في تلك البلاد وغيرها ، مَن هم بلا مأوى ولا طعام ولا أحد يسال عنهم ! !

فيالها من ديمقراطية ومبادئ ينادي بها هؤلاء المتشدقون ! إنهم لن يربحوا ، ﴿... وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1] .

فيا أختي المسلمة ضعي ثقتك بالله ، واتكالك عليه وحده سبحانه ، لا على غيره وارتدي الحجاب بكل قَناعة ، وبدون تَردد . . وتفاخري به ولا تخجلي منه . . فتظفري بالنصر على عدوّك ، وتضمني لنفسك سعادة الدنيا برضا الله عنك ، وقبوله توبتكِ وغفرانَه لذنوبك السابقة ، وَسعادة الآخرة لهي الجزاء العظَيم والثواب الكرَيم من ربٍّ حليم .

كوني أكثر ثقة بنفسك ، إن حاول أحدهم أن يثنيك عن ارتدائه بذرائعه الواهية ، وشعاراته الَجوفاء ، واضربي عرض الحَائط كل رأي يعارض حجابكِ ، فنقدهم لحجابكِ ، إنما هو حيلة منهم لبُعدكِ عن مبدئهم ،

---

١ ـ سورة البقرة: الآية ١٤٤ .

فهم لا يملكون أي دليل أو حجة في السفور غير اتباع الهوى وخطوات الشيطان.

ولأن الله هداك إلى طريق النور، وعرّفك بمتطلبات دينك، ومنها الالتزام بالحجاب، فلا تبالي بتلك الناقدة المتبرجة لحجابك، فهي تعلم تماماً أنها ملزمة بالحجاب إن كانت مسلمة، ولكنّها تعصي وتتمادى في عصيانها فتعلن بكل وقاحة أنها إلى الآن غير مقتنعة بالحجاب.

إن الحجاب فرض واجب على كل مسلمة، وهي بتمرّدها وعصيانها لا تظلم إلاّ نفسها، وكذلك المذبذبات وضعيفات النفوس أمثالها.. فإنهن لا يردن أن يمارسن المعصية بمفردهن، بل يردن زميلات أخريات لطريق الضلال.. لإشباع رغباتهن الشيطانية والأنانية، ونواياهن الخبيثة.

وهذا كلّه من وسوسة الشيطان الذي أقسم أن يغوي الإنسان - الذي كان سبباً في إخراجه من الجنة - فهو لا زال يحاول عن طريق ترغيبه في الهوى، أن يجعله فريسة لشهواته التي ستجعله صيداً سهلاً للفساد والانحراف، والبعد عن رحمة الله، ثم النار في يوم القيامة.

وهذا ما يريد أن يصل إليه إبليس، ويعتبره نصراً له، وذلك يعني أنه ضمن لهذا البائس أو البائسة مقعداً في جهنم، ولن يكون هو وحده في جحيمها، وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذا: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[١].

فكوني على ثقة أن ما تقومين به من لبس الحجاب والتشرّف بارتدائه، هو الحماية والتحصّن بحصن الله المنيع، من وسوسة الشيطان، وعداً من

---

١ ـ سورة ص: الآيات ٨٢ ـ ٨٥.

الله حقاً، أكّده في محكم كتابه العظيم: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾**[١].

فحيّ على الحجاب، وعلى الطاعة، وعلى التوبة النصوح، عسى أن يتوب الله عليك، ويقبلك ويطهّرك من الدنس، ويجعلك مستقرة النفس والبال، ويقيك عذاب القبر والآخرة: **﴿... وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾**[٢].

---

١ ـ سورة الحجر: الآية ٤٢.

٢ ـ سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

السافرة
وعقاب الآخرة

قد أعدّ الله للسافرة عذاباً خاصّاً في الآخرة على جريمة سفورها، لما له من خطورة، حيث أنه أساس وبداية لكثير من الجرائم، التي يعاني منها مجتمعنا «المتحضر»، ولذا فإن الله أنزل فيه نصّاً صريحاً وواضحاً حيث اعتبره من الكبائر والموبقات، وذلك لما للحجاب من أهمية في حماية وتماسك بنيان المجتمع الإسلامي، وما يترتّب عليه من آثار في غاية الخطورة في حال عدم الالتزام به وانتهاك حدوده، كما هو حاصل في عصرنا حيث الانحلال الأخلاقي والفساد، وتفشي الكثير من الآفات الاجتماعية والصحية والنفسية.

فأمّا بالنسبة إلى الآفات الاجتماعية، فالسفور هو بداية كل خطيئة ورذيلة، فهو - كما ذكرنا في السابق - الطريق المؤدي إلى جريمة الزنا، وكما قيل: «النظرة بريد الزنا»، ولولا السفور لما كان هناك مجال للنظر ثم الزِنا، أو جريمة الاغتصاب والقتل، وسلسلة لا تنتهي من الكوارث المترتبة على هذه الآفات، من ضياع الأنساب، والتهتك، والتشتّت الأسري، والانحلال الخُلُقي، وانتشار الحقد والكراهية، وتوتّر الأعصاب والقلق، والمطالبة بالثأر، وغير ذلك . . . وهذه الأمور كثيرة الحدوث في المجتمعات.

وأمّا بالنسبة إلى الآفات الصحيّة فنجدها واضحة، وجليّة في الأمراض الناتجة من ذلك، والعجيب أن انتشارها أسرع من محاولات

علماء الطب المضنية، واليائسة في إجراء التجارب للتوصّل إلى علاج أو دواء، يحدّ من انتشار المرض، والسيطرة على أعداد المصابين بهذه الأمراض، التي هي في تزايد رهيب كالإيدز ـ طاعون القرن العشرين ـ والتي للأسف الشديد قد تمكنت واستفحلت في جسم الكيان البشري في كل بقاع الأرض حتى صارت الأرض تضج منها[١] .

وأمّا بالنسبة للآفات النفسيّة فهذه الجرائم تسبب الضياع والتفكّك الأُسري وتفشّي العُقَد النفسيّة، والاكتئاب إلى حدّ قد يقود إلى الانتحار للتخلص من معاناته النفسية والمشاكل التي تورّط بها، وما أكثر المستشفيات التي تُبنى ويُصرف عليها الملايين، لتجهيزها بأحدث الأجهزة الطبية لأجل معالجة هؤلاء الذين يعانون من تلك المشاكل الصحيّة[٢] .

---

١ ـ ذكرت مجلة «أهل البيت» الصادرة في لندن في العدد الثامن والأربعين بتاريخ كانون الثاني ١٩٩٩م، تقريراً عن الحالة الصحية الخطيرة في أمريكا، صادراً عن مركز الاتحاد الأمريكي لمراقبة الأمراض: زيادة عدد المصابين بأمراض جنسية في الولايات المتحدة، فقد بلغ عدد الإصابات التي تنتقل بالعدوى في أمريكا عبر الاتصال الجنسي غير المشروع «٧٩» مليوناً .. وذكر التقرير وجود «٢٠» نوعاً من الأمراض التي تنتقل عبر الاتصال الجنسي في أمريكا، منها الزهري والكلاميديا «الطفح الجلدي»، وإصابة النساء فيه تؤدي إلى العقم وتشوهات الجنين، والهيربيس ـ وهو يصيب الأعضاء التناسلية بالقوباء ـ ويصعب علاجه، كما أنه شديد العدوى، وهذه الأمراض من أبسط العواقب المحتملة نتيجة التحلل الخُلُقي الغربي الذي يحاولون تصديره إلى بلداننا الإسلامية بشتى السبل، محاولين فرضه كأمر واقع مفروغ منه، عبر مختلف وسائل أعلامهم المرئية والمسموعة والمقروءة.

٢ ـ ذكرت المجلة السابقة عن دراسة أمريكية: أن علاج الفصام «انفصام الشخصية الشيزوفرينيا» يكلّف العالم سنوياً أكثر من مائة مليار دولار، وهذا المرض يعدّ من أكثر الأمراض النفسية شيوعاً في أمريكا وأوروبا .. ولا

وقد صدقت نبوءة الرسول الأعظم ﷺ التي بيّنها وصرّح بها: **(سيكون في آخر هذه الأمّة رجال .. نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهنّ كأسنمة البُخت العجاف، العنوهنّ فإنهنّ ملعونات .. لا يجدن ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام)**[1] .

وهناك العذاب الأكبر . . عذاب يوم الساعة بانتظار مؤسسي بؤر الفساد وواضعي قوانين الانحلال الخُلُقي ، والمنادين بشعار الحرية المطلقة . . الذين يحلّلون ويحرّمون حسب ما تمليه عليهم أهوائهم ، وحسب متطلّبات المصلحة الشخصية .

فحذار منهم أختي المسلمة ، واحذري الرضوخ إلى مزاعمهم ، وشعاراتهم المضلِّلة ، فهؤلاء من المغضوب عليهم يوم القيامة ، وهم أوّل من سيرد جهنم .

وهل تعلمين كم كان حزن رسول الله ﷺ عظيماً؟ وبكاؤه شديداً حين كان يسرد لأهل بيته ، ما رآه في رحلته حين عُرج به إلى السماء ، لأنه رأى أن

يجد العلماء والأطباء سبيلاً لعلاج هذا المرض، والحدّ من انتشاره، إلاّ الراحة النفسية، لكن هذه الراحة المنشودة غير متوفرة في مجتمع غارق في المادة والشهوات، حيث يقل الاستقرار ويزيد القلق.

١ ـ حياة الحيوان للدميري: ج١ ص١٠٥، ودقّة التعبير في هذا الحديث طريفة، فهو يشير إلى أن النساء كاسيات ومرتديات للثياب، ومع ذلك فهنّ عاريات، إذ نشاهد ملابس بعضهن تُظهر معالم الجسد وتبرز مفاتنه، كما لو أنها كانت عارية بل وأشد إثارة، وأيضاً جاء في الحديث الشريف عن علي ﵇ قريباً من هذا المعنى: (يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شرّ الأزمنة نسوة كاشفات، عاريات، متبرّجات، من الدين خارجات، وفي الفتن داخلات، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلاّت للمحرمات، في جهنم خالدات) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٩٠.

المعذَّبين في جهنم من أمّته، كان معظمهم من النساء، فروى لأهـل بيته ألواناً من العذاب الذي كُنّ يواجهنه[١].

---

١ ـ الحديث هو: قال أمير المؤمنين ﷺ: دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله ﷺ فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله، ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي، ليلة اسري بي إلى السماء رأيتُ نساءً من نساء أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن، فبكيتُ لما رأيتُ من شدة عذابهن .. رأيتُ امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيتُ امرأة معلقة بلسانها والحميم يُصب في حلقها، ورأيتُ امرأة معلقة بثدييها، ورأيتُ امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيتُ امرأة قد شُدّ رجلاها إلى يديها، وقد سُلّط عليها الحيّات والعقارب، ورأيتُ امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار، يخرج دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطع من الجذام والبرص، ورأيتُ امرأة معلقة برجليها في تنور من نار، ورأيتُ امرأة يُقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار، ورأيتُ امرأة يُحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعائها، ورأيتُ امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيتُ امرأة على صورة كلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة ﷺ: حبيبي وقرة عيني، أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال: يا بُنَيَّتي، أما المعلقة بشعرها فأنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فأنها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شُدّ يداها إلى رجليها وسُلّط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت قذرة الوضوء .. قذرة الثياب.. وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي كان يقرض لحمها بالمقاريض فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كان يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعائها فأنها كانت قوّاده، وأما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار

⟸

إنني أحمد الله على أن هداني إلى الحجاب وأسأله سبحانه أن يتم عليَّ وعليكنَّ هذه النعمة العظيمة ، وأن يهدينا لما يحب ويرضى وأن يقينا غضبه إنه سميع عليم.

فإنها كانت نمّامة .. كذّابة، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فانها كانت قينة نوّاحة حاسدة.

ثم قال ﷺ: ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

الحجاب
وفرص الزواج

هناك خطأ شائع في مجتمعنا وهو يقلق الكثير من الأخوات والأمهات، ذلك هو اعتقادهن بأن الحجاب سيحبس فرص الزواج عن الفتاة المحجبة، والتي منهن - وللأسف - أمي، فحتى بعد أن تحجّبتُ، وتركت كل ما يتعلّق بالتبرّج والسفور من أدوات الزينة والمساحيق، إلاّ أن والدتي كانت تتذمّر لامتناعي عن ذلك، وتقول: من سينظر إليكِ وأنتِ بهذا الشكل الكئيب! ولكن لم يؤثر هذا الكلام على قراري لأنني علىَ يقين أنه لن يصيبني إلاّ ما كتب الله لي، فإن كان قد قسم لي الزواج حتى لو كنتُ في حجرة مغلقة ومن غير نافذة، فأمر الله سيحدث رغماً على كل الظروف والأحوال، وإن كنتُ وسط مليون رجل مناسب، ولم يقدّر الله لي الزواج فلن يحدث ذلك ولو اجتمع الإنس والجنّ لتزويجي، **﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾**[1]، فعن رسول الله ﷺ موصياً ابن عباس: **(ولو جهد الخلق على أن ينفعوكَ بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، ولو جهدوا على أن يضرّوكَ بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ...)**[2].

---

١ ــ سورة يونس: الآية ١٠٧.

٢ ــ تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٦٣.

كما أنّ هناك أمراً آخر قد لاحظته حين كنت أدرس في الجامعة، هو: إن أغلب الشباب الذين يلاحقون الفتيات ويسعون لإقامة علاقات معهن، نراهم عندما يجد الجدّ ويقررون الزواج، لا يرضون ـ غالباً ـ إلاّ بالمحجبة المهذبة، وهذا ما رأيته بعيني في الجامعة، فالبعض منهم حين يتعرّف على فتاة يلاطفها وهي بالمقابل ترضى وتستجيب له ـ وإن كان في نية أكثرهنّ الزواج وليس التسلية ـ فهي بذلك تسقط من نظره بعد فترة ويملّ منها، ويكون على يقين بأنها لو أتاها شخص غيره وحاول معها نفس ما يحاول هو لَرَضِيَتْ، إذن فهو لا يأمن جانبها، وإخلاصها له فكيف يرتبط بها كزوجة وشريكة عمر! فتكون في نظره وسيلة للتسلية واللهو ليس إلاّ.

وهذا بالطبع سيجعلها مذنبة بحق نفسها حين استجابت له برضاها وانصاعت لرغباته، وبغض النظر عن كون تصرّفها يعتبر معصية فإنها قد ضيّعتْ فرصة كان يُمكن لها أن تنجح لو رفضت التحدّث له، فتكبر في نظره، ويتأكد من قوة إرادتها وإيمانها، وشدّة محافظتها على نفسها وكرامتها.

فكما نعرف أن أكثر السافرات اللواتي تزوّجن من زملائهنّ في الدراسة كثيراً ما كان زواجهما يبوء بالفشل، وينتهي إلى الطلاق بعد فترة قصيرة.

تلك الظاهرة التي نعاني منها ليس فقط في الجامعة، ولكن في كل مكان لعدم شعور الطرفين بمسؤولية الزواج العظيمة والغاية الحقيقية من ورائها، فالزواج الذي يكون لإشباع الرغبات، ويكون محوره الجمال الظاهري فقط سيكون مصيره الانهيار، وسيسقط جمال الجسد أمام المحاور الحقيقية التي يتطلّبها الزواج الناجح من عفّة وأخلاق وشرف، ففي الحديث الشريف عن الرسول الأعظم ﷺ: **(العفاف زينة النساء)**[1].

---

١ ـ كلمة الرسول الأعظم ﷺ: ص١١٠.

وقال ﷺ أيضاً: **(ومن تزوّج امرأة لا يتزوّجها إلاّ لجمالها لم يَرَ فيها ما يُحب ...)**[١].

وقال ﷺ أيضاً: **(إيّاكم وخضراء الدِّمن)** قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِّمن؟ قال: **(المرأة الحسناء في منبت السوء)**[٢].

فالمحجبة كالجوهرة الثمينة النفيسة التي لا تُعرض أمام عامة الناس، ولكن تحفظ في صندوق أو مكان أمين بعيد عن أعين ضعاف النفوس حتى لا تتعرض للسرقة والنهب.

فهي أغلى وأثمن من تلك البضاعة المعروضة في واجهة المحل أمام الجميع، فهذا يقلّبها وهذا يساوم عليها وآخر يلمسها، أما تلك الجوهرة النفيسة النادرة المحفوظة بعيداً فلا تقدر قيمتها بثمن، وبريقها لا يضاهيه بريق، ولا يأخذها إلاّ من يستحقها ويعرف قيمتها العظيمة، فكما قيل: «المرأة الفاضلة كتاب لا يقرأه إلاّ المؤمنون»، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: **(الكُفو أن يكون عفيفاً)**[٣].

والمرأة إذا كانت صالحة لا تقدر بثمن، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: **(... فأما صالِحَتُهُنّ فليس خطرها «أي قيمتها» الذهب والفضة، هي خير من الذهب والفضة)**[٤].

ولهذا السبب أطلب منكِ أن تعرفي قيمتكِ الحقيقية فلا تكوني إلاّ

---

١ ــ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٣٥.

٢ ــ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٣٢، وأصل الدِّمن ما تُدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها فربّما ينبت فيها النبات الحسن وأصله في دِمْنة.

٣ ــ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٣٧٢.

٤ ــ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٣٣، وبقية الحديث هو: (وأمّا طالِحَتُهُنّ فليس التراب خطرها، التراب خير منها).

مسلّمة أمرك إلى الله الحكيم في أمره، العادل في حكمه، وعندئذ لا يكون داعياً إلى القَلق أبداً، فإن كنتِ غير متزوجة، فالله يعلم الخير في جميع أمورك كلها.

وَتأكدي أن الله حين لا يقسم لك الزواج، إنما يجنّبك من أمور قد تؤذيك، أو تسبّب لك التعاسة والندم، أوَ تجلب لك المشاكل، أو غير ذلك من الأَمور التي تخفَى على البشر الذي لا يرى إلاّ الظاهر منها فـ (**إنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً**)[1].

نحن لا ننكر أن بعض الناس حين يعرفون عن تلك الفتاة مثلاً أنها تجاوزت الثلاثين، يتساءلون بفضول وإلحاح حتى يضيّقون عليها الخناق في تساؤلاتهم، والتي تسبّب لها الإحراج، دون أن يقدروا مشاعرها كفتاة حساسة، إلى أن تصل إلى مرحلة التذمّر والتمرّد، وتبدأ السؤال: لماذا أنا لم أتزوّج مثل صديقاتي أو أخواتي أو مثل أي امرأة[2]؟.

ولكن هذه القضية يمكن مواجهتها أختي المحجبة عندما تعودي إلى حكمة الله وتتذكري القيم الأخروية، وتحيلي أمر الجهلة إلى محكمة الآخرة.

إذن تأكدي أن الأرزاق بيده ﷻ، وأنه ينزلها بحكمة وعدل، فلا يولد

---

١ ـ من وصيّة رسول الله ﷺ لابن عباس، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٦٣.

٢ ـ ولا ننسى هنا ما للآباء من دور في تعنيس بناتهم، فعندما يتقدم الخاطب إليهم، يفاجئونه بالسؤال عن المكانة الاجتماعية والثروة وعما يملك، ويتناسون الأسس التي وضعها الإسلام، أو يجعلونها في نهاية ما يسألون، قد حدث هذا مع أحد أصحاب الإمام الجواد ﷺ فسأله ذلك، فكتب مولانا الإمام الجواد ﷺ إليه ـ إلى علي بن أسباط ـ في جواب سؤاله: (فهمتُ ما ذكرتَ من أمر بناتكَ وأنكَ لا تجد أحداً مثلكَ فلا تفكّر في ذلك يرحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قال: (إذا جاءكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوّجوه، وإن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٣٧٢.

مخلوق في هذه الدنيا ولا يموت حتى يكون قد استنفذ رزقه، فالله يقول: ﴿... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾[١].

ولذلك عليك أن تتريثي، وتتعقّلي، وتتزني في طريقة تفكيرك بخصوص ما تسمعينه أو يقال لك من كلام أو نقد أو تجريح بهذا الشأن.

إن الفتاة العانس ليست قضية سلبية في المجتمع، إنما القضية السلبية هي في التعامل الجاهلي مع هذه المشكلة الاعتيادية التي حصلت للمؤمنات وغير المؤمنات عبر التاريخ.

إذن فلماذا نعلّق حياتنا على أمل مجهول؟ ربما يحدث أو لا يحدث، فهل تتوقف الحياة، وينتهي دورنا فيها إلى هذه النقطة؟!

الزواج رغبة كل فتاة، هذا شيء صحيح ومسلّم به، ولكن إذا لم يتم فهذا لا يعني أن تتوقّف عن الحياة الطبيعية وتعيش الانتكاسة في طول حياتها.

فلابد أن الله يهيئها لأمر أفضل من الزواج، أو يختبر صبرها، وهل تلتزم بالعفّة أم تجري وراء هوى نفسها؟ وقد وعد الله المستعفف بالغنى كما في الآية الشريفة: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٢]، ليجزيها أفضل الجزاء على تمسكها بالأمل برحمة الله.

ومن يعلم ربما هناك أمر ينتظرها يعوّضها عن الزواج، الذي تتصوّر بأنه هو الأمر الوحيد الذي يسعدها، وهكذا أقول لك بكل صراحة: فالله يعلم وأنت لا تعلمين أفي هذا الأمر تشكّين؟! إذن فلماذا التأثر بما يقوله السلبيّون!!.

انتبهي عزيزتي لهذه النقطة جيداً لتسعدي في الدنيا والآخرة، فأنتِ إذا يأستِ إنما تكتبين على نفسكِ التعاسة في الدنيا، ويكون لكِ مكان مع الفئة التي ترد النار، وقد كُتبَ على جباههم (آيس من رحمة الله).

فهل هذا يرضيكِ؟ فكري جيداً، ولا تهتمّي لهؤلاء الناس، فهم لن يغيروا شيئاً من قدركِ، وكل ما سيسبّبونه لكِ هو التعاسة فحسب، فتمسّكي بإيمانكِ بالله وبعدله وحكمته، وإذا قالوا لكِ أن الحجاب سيكون عائقاً في طريق زواجكِ ولن يرضى بكِ أحد، أو أنه لن يرى منكِ شيئاً يعجبه، فأجيبيهم وبكل ثقة: إن الله يوزّع الأرزاق وكل شيء قسمة ونصيب، وهذا الذي لا يعجبه شكلي المستور فلا حاجة لي به.

ثم أنا لا أريد أن أرتبط بإنسان ليست له غيرة على حرمه، وأهل بيته، والله قادر أن يقسم لي الإنسان الذي يراه مناسباً صالحاً **﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[1].

وإن لم يكن قَسَمَ لكِ الزواج، فلكِ دور كبير يجب أن تقومي به، فتعلّمي ـ مثلاً ـ أمور دينكِ جيداً، وحاولي الاستزادة منها قدر ما تستطيعين.. نظمي وقتكِ وخصصي بعضاً منه للعلم كسباً ومنحاً، وأنا أؤكد لكِ أنكِ ستكونين أكثر سعادة وأملاً برحمة الله، وستتعلمين حسن التعامل مع نفسكِ والآخرين.

والمدرسة هي أكبر محفل يمكنكِ المشاركة فيه لأداء دوركِ السامي الذي خلقت من أجله، وهو التربية.

فالطفل يتلقى عن طريق المدرسة مباني التربية الصحيحة بمبادئ ديننا السمحة، وأنتِ المدرسة برمّتها.

---

١ ـ سورة التوبة: الآية ٥١.

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددتَ شعباً طيّب الأعراق

نعم، فالأم تربي أبنائها وتضع اللبنات الأساسية في سلوكهم، وأنتَ في المدرسة كمربية فاضلة تقوّي هذا الأساس وتنمّيه، وتزرع حبّ الله ومخافته، وحبّ التسلّح بالعلم والتمسّك بالدين، في نفوس النشأ الجديد، صنائع الغد المشرق .. المتحمل للمسؤولية .. الواعي والمتمسّك بدينه، وهذا من أثر إصلاحكِ وتقويمكِ له، وتحملك المسؤولية والأمانة.

والآن هل عرفتِ كم يحبكِ الله ويريد لكِ الخير؟ ثقي بذلك ولا تندمي.

فالله ما خلق شيئاً ونسيه أو خلقه بلا هدف!!

فهو أرحم الراحمين وهو أرحم عليك من والديك، وله الحكمة البالغة في تدبير الأمور كلها، فاتقي الله ﴿... **وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ...﴾[1].

---

١ ـ سورة الطلاق: الآيات ٢ ـ ٣.

الحجاب
مدرسة الطهر

لقد كرّم الله المرأة لأنها أساس المجتمع، وأراد أن يُعرف قدرها كي تكون عضواً فعالاً فيه، لأن فساد المرأة يعني فساد المجتمع، وذلك لأنه لا يقوم بناء إلاّ على أسس قوية، صحيحة ومتينة، فإذا كان الأساس فاسداً وضعيفاً فكيف سيقوم هذا البناء وهذا الصرح؟ إذن أنت الأساس ولا يستطيع أحد أن يهضم حقّك أو يقلّل من شأنك، فأنت الأم والأخت والزوجة والمدرِّسة والمربية الكريمة التي لها شأن كبير عند الله.

وكم هو عظيمٌ دور التربية وما تتركه في نفس تلميذاتك الصغيرات حين تكونين ملتزمة بدينك وحجابك، فتتعلّم الطفلة الصغيرة منكِ التمسّك بالحجاب، لأنك تجسدينه أمامها وتعرّفينها قدره، في نفسها وحياتها، ولست ممن يقولونَ ما لا يفعلون.

أخبريها عن حجاب الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وعن بطلة كربلاء زينب الحوراء، واللواتي كنّ أعظم مدرسة في تطبيق رسالة الحجاب السامية.

ربّيها على حبّ أهل البيت عليهم السلام وبيّني لها شدّة تمسّك حرم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجاب.. قدّمي لها الوجبة الغنية بالشواهد من كتب التاريخ، واقرئي لها سيرة العترة الطاهرة.. علّميها وحفّظيها سورة الأحزاب وسورة النور[1] وغيرها من السور العظيمة التي تشرح رسالة الحجاب

---

١ ـ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (علموهنّ سورة النور)، بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٦١ ح١٦ ب٥.

الحجاب ودوره في بناء مجتمع صالح قوي.

إنها لرسالة عظيمة جداً، ولا يعرف قيمتها من يجهلها، فكوني مخلصة وقوية الإرادة وصادقة في كل كلمة تلقينها على مسامع الطفلة البريئة، فهي لا تزال أرض خصبة يمكن غرس تلك المبادئ العظيمة، وترسيخها في عقلها المتفتّح والقابل لاستقبال كل معلومة تنقل إليها، (**إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقِيَ فيها من شيء إلاّ قبلته**)[١].

واتقي الله في تعليمكِ لها، وحثّيها على ارتداء الحجاب، وعلّميها الالتزام به، واذكري لها أثره وفوائده، فهو خير حماية ووقاية لها، وحتى لا يكون مصيرها كمصيرنا ـ للأسف ـ حين ضيّعنا أهم أيام عمرنا التي لا تعوض، أتلفناها في معصية الله . . سافرات غافلات عن هذه الرسالة العظيمة، ولم يَعِ أهلونا قيمتها ولم يحثّونا على ارتدائه منذ الصغر، ولم يذكروا لنا وجوبه، وأنه عبادة لله كالصلاة والصيام وغيرها من العبادات وأن الإيمان بالله لا يكتمل إلاّ بالالتزام به.

وأنا إذ أذكر لكِ شرف مهنة التعليم إنما أقدّم لك نموذجاً من بين العديد من الوسائل التي تستطِيعين أن تقدّمي فيها عطائكِ البنّاء والفعّال في المجتمع، وما هي إلاّ مساهمة منكِ يمكنكِ تأديتها في بناء المجتمع الإسلامي الصحيح.

وهناك العديد مِن الوظَائف السامية والجليلة التي تستطيعين أن تشاركي فيها بالقدر الذي مكّنكِ الله، من العلم والقوّة والقدرة، وحسب الإمكانات المتاحة لكِ، وعلى قدَر استطاعتكِ في أداء دوركِ وإتقان عملكِ، كالطبيبة والممرضة التي هي من أسمى وظائف المرأة حيث تحاول أن تخفّف

---

١ ـ من وصية الإمام علي بن أبي طالب لولده الحسن ﷺ. بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢٠٠.

عن آلام المرضى، وتمنحهم الدواء الذي يخفّف عنهم معاناة المرض والألم.

وما أعظم دورها إذا كانت من الملتزمات بحجابهن .. المتمسكات بدينهن، فإن الرحمة ستعمر قلبها أكثر لما عرفته من الحق، ولمعرفتها حدود الله، ومسئوليتها تجاه ربها، في بذل ما بوسعها لأداء مهمّتها، على أكمل وجه، فإنها بالتأكيد ستؤدّي واجبها بكل إخلاص وتفان، وهنا ستكون ملاك رحمة للمرضى، وستزداد رفعة ـ أيضاً ـ إذا ما دعت زميلاتها للتوجّه والتقرّب إلى الله وإرشادهنّ إلى الحجاب، بل حتى توجيه وإرشاد النساء اللواتي يتلقين العلاج على يديها.

نعم فهذا الأمر غاية في النبل والرحمة، وثوابها لن يكون لمحاولتها شفاء أبدان مرضاها فقط، ولكن لشفاء عقولهن ونفوسهن وقلوبهن، وما أعظمه من دواء!

الحجاب
دواء الاكتئاب

نعم إنه من أعظم الأدوية للأمراض الصحية والنفسية، وأنا قد جرّبته شخصياً، وأستطيع أن أخبركِ - أختي المسلمة - عمّا حصل لي، حين أدركتُ الدواء من ذلك السيّدَ الفاضل . . ذلك المعلّم والطبيب العظيم، فقد كانت حياتي كما ذكرتُ لكِ، مليئة بالبؤس والشقاء والاكتئاب النفسي الذي كان على وشك أن يقتلَني لولا رحمته سبحانه.

إنني أؤكد لكِ أن كل أمراض الاكتئاب التي يعاني منها البشر الآن، إنما هي لابتعادهم عن الله وعدم التوجه إليه، والسبب إحساسهم بالفراغ القاتل، خصوصاً حين يبلغ مبلغه في الأنفس الضعيفة، ويؤدي بهم إلى الشعور باليأس الشديد، وهو النتيجة الحتميّة لمرض الاكتئاب، حيث يجعل الإنسان يعتقد بأنه أضعف وأحقر مخلوق، وأنه لا فائدة ترتجى منه، وأنّ وجوده في هذا العالم غلطة.

فالله لم يخلق كل ما في هذا الكون بما فيه الإنسان عبثاً، فالكل له دور هام في الكون، حتى النملة لها دورها فيه، **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾**[1]، ثم خلق الجميع لغاية واحدة: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[2].

---

١ ــ سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

٢ ــ سورة الذاريات: الآية ٥٦.

فكيف بالإنسان هل يعقل أن لا يكون له أي دور؟ وقد جعله الله خليفته في الأرض، وحمّله أمانة التوحيد وأمره بالطاعة له!.

هذه أحد أعراض مرض الاكتئاب الذي هو مرض العصر، وقد مررتُ بهذه التجربة التعيسة، والآن أحمد الله حمداً لا يحيط به، ولا يعلمه، ولا يقدر على إحصائه غيره، جلت قدرته، على انتشالي من هذا المرض الخطير.. الذي يدمّر العقل والروح، ثم يقضي على الجسد.

وما نفع الجسد إذا ضاع منه العقل؟! وأؤكد لكِ أختي المسلمة أن كل ما تعانين منه ومهما كانت معاناتكِ، فعليكِ بالحجابَ عن ثقة وقناعة لأنه هو العلاج الشافي لكل داء.

وأنا أتحمل مسئولية كل كلمة قلتها وأكتبها ما حييت لأخواتي المسلمات، فهو الحل الأمثل لكل مشكلة، وهو الطريق للسعادة والرضا والاستقرار النفسي.

ومن دونه فلا صلاح ولا راحة ولا أمل، وكل ما ستجنيه من دونه، هو الشقاء والبؤس بعينه.

فانتبهي وارجعي إلى نفسك.. حاسبيها واصدقي معها ووجّهيها الوجهة الصحيحة، فأنت الرابحة إن شاء الله.

وإن تهاونت وتقاعست وترددت وخضعت لأمور الدنيا الزائفة، فلن تظلمي إلاّ نفسكَ، ولن تضريَ الله شيئاً، وإنما ضَررك سيكون على نفسك وتبوئين بالخسرانَ العظيم، وأمّا آخرتك ففي دار البوار وبئس القرار فقد قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[1].

---

١ ـ سورة طه: الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦.

التوسل
بالطرق غير المشروعة

ليس الزواج هو آخر المطاف والهدف الوحيد، الذي من أجله نعيش، وإذا لم يتحقق، تتوقف الحياة، ونموت عند هذه النقطة!

إن سرّ هذه الحياة وعلمها عند ربّ العالمين، فمهما بلغنا من العلم والمعرفة فعقولنا محدودة جداً، غير قادرة أن تستوعب معادلات السماء.

فلا نقدر تصوّر ما يمكن أن يحدث لنا في المستقبل، الذي أخفاه الله لحكمة ورحمة منه سبحانه، ومن نكون حتى نعترض على قضاء الله وإرادته فينا؟ فنحن بشر خلقنا الله من تراب وأتحفنا بهذه العقول فنتمرّد بها على إرادته، ونحاول أن نعرف ما يخفيه من الغيب بالرجوع إلى الشعوذة والسحر، وغيرها من الأمور التي تفرّق بين المرء وزوجه، ونبش المستور وكشف المحظور، ومحاولة عبور الممنوع، والتنبؤ بما سيحصل في المستقبل، وترتيب الآثار على كل ذلك، فنتّبع الضالين والآيسين من رحمة الله والذين في قلوبهم مرض . . . الذين يعتقدون أنهم باستعانتهم بالجنّ سيربحون ويصلون إلى غاياتهم.

إن التي تنبؤك بمن سيتقدم للزواج منك، أو تعطيك أحجاراً أو جلوداً تكتب فيها طَلاسم عجيبة وغريبة، وتطلَب منكِ أن تَحضري لها أشياء أعجب وأغرب، وتوهمكِ عن طريق هذه الخزعبلاتَ أنها ستمنحكَ الزوج المناسب، أو تحبّبكِ بشَخص ما، وتزعم أنها تريد أن تخدمكِ

وتمنحك السعادة والخير.

وكَان الأوْلى أن تنفع وتسعد نفسها، وتنعم بالقدرات الغيبية التي تدّعي تملّكها في تحقيق ما تتمناه من الربح، الذي تكسبه عن طريق الحرام بالتحايل عليك، وعلى غيرك من السذّج وضعاف النفوس.

إن الأوْلَى لك ـ أختي العزيزة ـ أن تنفقي هذه النقود في سبيل الله لتبلغي مرضاته كالصدَقة التي ورد عنها في الحديث (**تطفأ غضب الرب**)[1]، وتوسّع الرزق الحلال الذي تتمنّينه، والذي تطلبينه من الله وحده الخالق الرازق، وليس من سواه، وإلاّ فقد أشركت بالله العظيم، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ...**﴾[2].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (**من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله**)[3].

والعجب أننا نجد هؤلاء المشعوذين، يمتازون بالفقر وتعلو وجوههم غبرة، أو يضع الله في نسلهم علّة أو عاهة تميّزهم وتميّز نسلهم بما ارتكبوه من سوء.

وكذلك ما اخترعه الغرب من علوم مدمِّرة للعقل، كعلم الكفّ وتحضير الأرواح، التي أسسوا لها الجامعات، حيث تدرس مثل هذه التفاهات المنافية للعقل السليم، ليوهموا الناس بقدراتهم الخارقة التي تحقق لهم ما يريدون.

وما أجهلنا نحن البشر حين نتّبع أمور الدجل هذه! التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ونهدر الأموال الطائلة في سبيل تحقيق تلك الأوهام.

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٤٦ ص٧٤ ح٦٤ ب٥.

٢ ـ سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

٣ ـ كنز العمال: ج٦ ح١٧٦٨٤.

وبمناسبة ذكر أمور التنجيم ومحاولة التدخّل في غيبيّات الله ، أحبُّ أن أقدّم لك مثالاً حيّاً وصادقاً عن حقيقة هؤلاء المشعوذين ، حيث كان لإحدى معارفي الطيّبات موقف تعيس في فترة من فترات حياتها ، عندما ضعفتْ واستسلمتْ لوسوسة الشيطان ثم ندمتْ بعد ذلك ، فاتّعظتْ ولله الحمد .

فقد كانت حسنة الخلق ، حسنة الظن بمن حولها ، وعلى نيّتها البسيطة ، فقد حدث يوماً وذهبتْ ـ للأسف ـ إلى إحداهن ، لأنها كانت تعاني من المشاكل مع أهل زوجها ، ومثل هذه المشاكل لا يخلو منها بيت ، وكانت من النوع الحسّاس والمتوتّر جداً ، ولكثرة ما ألححنَ عليها صديقاتها ـ في العمل ـ أن تذهب إلى تلك المرأة المشهورة بصدق تنجيمها وقُلنَ لها : لعلّكِ تجدين الحلّ والخلاص من هذه المشكلة ، أو تكتشفي أن كان هناك من يدبر لكِ مكيدة ، وبالطبع الكل يعرف كم للصديقات من قدرة على الإقناع ، فقد أقنعنها بهذا الأمر وأكدن لها عظيم خبرة هذه المرأة «الدجّالة» وهي تقدم الحلول مجاناً ، لتريح من يرغب التخلص من دوّامة المشاكل .

ومع الأسف رضختْ قريبتي لمزاعم صديقاتها ، وذهبتْ إلى تلك المرأة «الدجّالة» ، وجاءتْ مذهولة ، محزونة ، مرعوبة ، وحين سألتُها ، شرحتْ لي كل ما قالته تلك المرأة من إفك . . والذي كان منه : أن هناك امرأة لديها من الذرية ولداً وابنتين سينتهي زواجهما بالطلاق ! وكانت هذه الصفات ـ طبعاً ـ تنطبق عليها .

جاءتْ تتحدّث وهي في غاية الحزن واليأس والخوف ، فبدأتُ أهدّئ من روعها ، وأؤكّدُ لها أن كل ذلك هراء وافتراء ، ففي المأثور : (**كذب المنجّمون ولو صدقوا**) ، وأن الله وحده يعلم السرّ وأخفى ، ويعلم الغيب

والمستقبل[1] .

ومما يؤسَف له أنها وقعت تحت تأثير تنبؤات تلك المرأة اللعينة ، وكنتُ أنا على يقين لو أن أحنك إنسان في هذا المجال على وجه الأرض ذكر لي من هذه النبوءات والخزعبلات ، وأكّد لي ما أكّد ، وقدّم البراهين الدامغة على صدق حديثه ، لما اتبعته ، وما صدّقتُ كلامه ، وما أعرته أي أهمية ، لأنني لا أرضى أن أكون فريسة لدجله ورجمه بالغيب ، ولأني على يقين تام بأن الله علاّم الغيوب ، وكلام هؤلاء لن يطابق الواقع إلاّ صدفة ، وأن الله هو الذي جعل هذه الصدفة ، ليختبر الإنسان في حقيقة إيمانه ، فهل يعتقد بأن الغيب بيده وحده سبحانه أم يصدّق ما قاله الدجّالون؟

فإن صدّقهم فإنه يستحق كل مصيبة تنزل به ، وإن كذّبهم فقد كسب رضاه وصرف عن نفسه بلاءً مؤكَّداً كان يمكن أن يحيق به لو أنه التزم أقوالهم .

ومرّت الأيام والأشهر ، وقريبتي في ترقّب وتخوّف ويأس ، بل وحتى أنها أصبحتْ تخلق المشاكل مع زوجها ، وكأنها تريد أن تؤكد لنفسها صدق مقولة تلك الدجالة ، وأصبحت حياتها جحيماً ، وصار زوجها يشتكي من تصرفاتها وإهمالها لشؤون بيتها ، فقد تمكّن منها الخوف لدرجة أنها أهملت كل واجباتها تجاه زوجها ، بل وأصبحت تتّهمه بالتقصير في حقّها ، وتتوهّم أموراً ليس لها أي أساس من الصحة .

فقد كانت تتصوّر زوجها قد ملّ منها ، وغير ذلك من أمور الجهل التي أوهمت بها ، إلى أن جاءتني يوماً فرحة مسرورة ، وأخبرتني بأنها

---

١ ـ عن الإمام الصادق ﷺ : (... المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار ...) بحار الأنوار ج٣٣ ص٣٦٢ باب٢٣ .

حامل، وستنجب طفلاً.

وبعد ذلك صارت تتضح لها الأمور وعرفتُ أن كثيراً من تنبؤات تلك المرأة لم تَصْدُق ولم تطابق الواقع، فقد اعتذرت إليَّ لكونها لم تسمع نصيحتي وكانت تستهزئ بكلامي.

وبعدها صارت تندم على كل دقيقة ضيّعتها في الاستماع لتلك الأفّاكة، وعن كل ما سببته لزوجها وأبنائها من متاعب وقلق، وسوء ظنّ بزوجها، وبجميع من كان يحاول أن يزيل تلك الغشاوة عن عينيها.

وأنا أعذرها لعدم سماعها للنصيحة، لأنها كانت تحت تأثير تلك الأوهام التي حشّتها عليها نساء جاهلات، فإن الحديث عن الأمور الغيبية التي ستحدث في المستقبل يجذب انتباه ضعيفي النفوس، ويجعلهم كأنهم تحت تأثير مخدّر، لا يفيقوا منه إلاّ برحمة الله، أو حين يكتشفوا أن كل ما قيل كان كذباً وافتراءً، ومحاولة جريئة بإظهار التدخل في أمور الله الغيبية[١].

أسأل الله لنا جميعاً العبرة، والهداية، والثقة به، والمغفرة على ما فرّطنا في جنبه تعالى.

---

١ ـ سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما تقول في علم النجوم؟ قال: هو علم قلّت منافعه، وكثرت مضارّه، لا يُدفع به المقدور، ولا يُتّقى به المحذور، إن خبّر المنجّم بالبلاء لم ينجه التحرّز من القضاء، وإن خبّر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجّم يضادّ الله في علمه بزعمه أنه يردُّ قضاء الله عن خلقه. بحار الأنوار ج١٧ ص١٤٣ باب٢٤.

الثبات

وأخيراً فلنكن نعم المؤمنين الذين يرضون بالقضاء، ويصبرون على البلاء، ويشكرون الله على النعماء.

ولنتق الله، ونرجع إلى أنفسنا، ونظهر الندم على إجحافنا في حق خالقنا ومقدَر أرزاقنا وأقواتنا، ونستشعر الظلم الذي غمسنا أنفسنا فيه بجهلنا.

إن هذا الإنكار منّا وتجاهل حق خالقنا هو الذي أوصل المسلمين أصحاب الحضارة الإسلامية العريقة إلى الحضيض.

فبدلاً من أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، صرنا نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف . . . .

ومثال ذلك ما ذكرته سابقاً حين ارتديت الحجاب، فقد كان هناك من يقول لي: لماذا دفنت نفسك في الحجاب؟ فقد أصبح شكلك كبير السن، ووجهك أصفراً وكأنَك مريضَة، وغير ذلك من المثبطات التيَ يتمسك بها هؤلاء وأَمثالهم . . الذين يرغبون في الفساد، ويحاولون إرجاعي وإرجاع أمثالي عن الحق، وعن عمل الخير بعد ما مَنَّ الله عليَّ بهدايته، وأتمنّى أن يَمُنَّها على أخواتي في كل مكان أيضاً.

والعجيب أنهم بعد فترة من سكوتهم عادوا يحرّضونني على تركه ويقولون: بعد أن لبستيه هذه الفترة متي ستتخلين عنه؟!!

عجباً لهؤلاء كيف ينظرون بسخرية إلى الحجاب وإلى فريضة من فرائض دين الله!!

وهكذا عزيزتي المحجبة، كوني مع قيَم الثبات لتكوني مستقيمة صاملة.

تجارة لن تبور

هل أدلك أختي العزيزة على تجارة رابحة في كل وقت وحين؟ وفي أي أرض تقيمين؟ تلك التجارة المليئة بالخير والبركة والحسنات ما حييت حتى يوم الحشر والنشور؟ تلك التجارة التي هداني إليها سماحة السيد الفاضل ـ بلطف من الله عَجَلَ ـ والتي حثني على القيام بها، واستثمارها لآخرتي، وضمنَ لي أنها لن تبور بعهد من الله على من يقوم بها في كتابه الكريم: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

إنها تجارة مع الله تعالى، المشتري بأضعاف الثمن . . الذي يدفع أجر أتعابك ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[2]، وهو الذي يضاعفها أكثر ـ إن بذلت ما بوسعك بكل إخلاصٍ وأمانةٍ وجدٍّ ـ على أن تكون الأرباح التي سيعطيكِ إياها على دفعتين:

الأولى: في الدنيا، براحة الضمير وحسن السمعة والوقوف لك في ساعات الشدّة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[3].

الثانية: يوم الموقف العظيم . . ذلك اليوم الذي يعطي الله فيه كل ذي حق حقه، وينثر عطاياه وبالغ كرمه على خلقه المتعطشين لفيض ثوابه وأجره الجزيل.

فما أسعد حظّكِ إن كنت من الفائزين، وممن اختصّهم الله بتجارته

---

١ ـ سورة فاطر: الآيات ٢٩ ـ ٣٠.

٢ ـ سورة الإنسان: الآية ٢٢.

٣ ـ سورة الطلاق: الآيات ٢ ـ ٣.

وعظيم الربح الذي ستنالينه من تلك التجارة التي ستنجيك من عذاب الله **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[١] .

فما هذه التجارة التي أنتِ مدعوة للمتاجرة بها؟ والتي لا تأخذ منكِ إلاّ القليل من الوقت!

ألا وهي: أن تكوني «داعية إلى الحجاب» .

نعم، فهذه والله اعظم تجارة وأشرف وأنبل وظيفة لأسمى غاية، تحقق لك الخير، وستجدين كل خطوة تخطينها لهداية فتاة، وكل كلمة تبلغيها إيّاها، وكل جهد تقومين به، وكل محاولة تسعين فيها لإقناعها وهدايتها للحجاب، توسّع لك الطريق إلى رضوان الله، فيفيض عليكِ من نوره، ويُنزل عليكِ سكينته، وتحل عليكِ بركاته وسلامه.

وما أجمل العَمار الذي سيكونَ بينك وبينه! ويا للكرامة التي سيختصك بها! ناهيك عن عظيم الجزاء والثوابَ الذي ينتظرك عند أعتاب الجنة، أجراً لهذه المهمَة التي حملتيها على عاتقك وأدّيتيها، ولا تنتظري منها أجراً إلاّ الجنة التي فيها من النعيم: **(ما لا عينٌ رأَت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر)**[٢]، وفي القرآن الكريم: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ**

---

١ ـ سورة الصف: الآيات ١٠ ـ ١١.

٢ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٤٣٢ المجلس ٦٦.

مِنْ رَبِّهِمْ ....﴾[1] .

وهذه نتيجة إخلاصك في تبليغ الرسالة ، وتحملك مسؤولية توصيلها بأمانة إلى كل فتاة مسلمة ، فنعم الثواب المنتظر لنعم الرسالة المنجزة والسعي المبذول لأسمى غاية .

أسأل الله أن يجعلك من الداعيات إلى الحجاب ، والغيورات على أخواتها المسلمات ، والسبّاقات في ميادين الخير ، والأمر بأكبر المعروف وهو الحجاب ، والنهي عن أفظع منكر وهو السفور . . بؤرة كل خطيئة وذنب ورذيلة .

فإذا اتخذت قرار التجارة مع الله ، اعلمي أن من أهم الأمور التي يجب عليك الحرص على معرفتها والتسلح بها ، هي دراسة التعاليم الإسلامية وسيرة أهل البيت ﷺ وتعلّم الطريقة الصحيحة في تأدية العبادات والإلمام بالمسائل الشرعية .

فبتعلّمك وتطبيقك الفعلي هذه التعاليم والمسائل الشرعية الضرورية التي تحتاجينها فإنك ستشعرين بالثقة والراحة النفسية الكبيرة ، وعدم القلق أو مساورة الشك عند قيامك بواجباتك العملية كالغسل والوضوء والصلاة وغير ذلك من المسائل التي لا يعرف الناس الكثير من أحكامها وجزئياتها ، وواجباتها ومكروهاتها ومحرماتها ، فحين يبلغ عمر أحدهم الخمسين يكتشف ـ صدفة ـ أن وضوءه لم يكن صحيحاً ، أو صلاته غير صحيحة ، ولا يعرف الشكوك في الصلاة أو صلاة الاحتياط وغير ذلك طوال تلك الفترة من حياته .

---

١ ـ سورة محمد : الآية ١٥ .

داعية إلى الله

إن كنت بنتاً

وكنتِ لا تعملين ولا زلت غير متزوجة، فالفرصة ذهبية، والأبواب مفتحة على مصراعيها أمامك، لتواصلي دورك، وتكوني كالسراج المنير بالتأسي برسول الله ﷺ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**[1].

حتى لو كنتِ في منزلك أو في حجرة صغيرة مقفلة، فعليك أن تقرئي وتُعلّمي أخوتك ما عرفت من الحق، علّهم يهتدون ويلتزمون به.. قوّميهم إن كانوا على خطأ فلك الأجر.. علّميهم إن كانوا يجهلون أمراً من أمور دينهم.. حثّيهم على التقرب إلى الله تعالى إن كانوا مبتعدين عن ذكره ﷻ ومنشغلين بأمور الدنيا، ولكِ الأجر أيضاً؛ فـ **(كلّكم راع وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته)**[2].

وما أعظم تلك النصيحة التي أهداها رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما قال: **(يا علي لأن يهدي الله بكَ رجلاً خيرٌ لكَ مما طلعت عليه الشمس)**[3].

---

١ ـ سورة الأحزاب: الآيات ٤٥ ـ ٤٦.

٢ ـ مجموعة ورّام: ج١ ص٦، عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ نوادر الراوندي: ص٢١.

ومن هذا المنطلق فإن عليك أختي المسلمة أن ترشدي وتهدي أختك في الإسلام، وأن تعينيها على طاعة الله، وأن تقوّميها إذا أخطأت أو حادت عن مسارها الصحيح.

فكري بمصائب الناس وحاولي التخفيف عن أحزانهم، وأغيثيهم بالدعاء.. اقضي حوائج المحتاجين إن استطعت.. تَصَدَّقي فإن **(الصدقة تطفأ غضب الرب)**[١].. صلي أرحامك.. تزوّدي بالتقوى **﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**[٢]، وتسلّحي بالعلم فالعلم عبادة وطلبه أساس معرفة الواجبات ونجاح الأعمال التي تقرّبك إلى الله، وبالعلم والعمل كوني من أولئك الذين **﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾**[٣]، اطّلعي على أمور دينك، ووَسِّعي مداركَ عقلك، تأملي في خلق الله وملكوته من حولك، اشكري الله على ما أنعم عليك من نعَم لا تُعد ولا تحصى، واحمديه على الهداية والصلاح **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾**[٤].

فالله لم يخلق المرء من فراغ، فكل شيء عنده مخلوق لهدف وغاية، والكل مكلّف بعملٍ ودور يجب أن يؤديه، فلا تستهيني بدورك في هذا الكون.. اهتمي بشؤون عبادتك لله وتوجهي إليه.. أخلصي النية وتوبي إليه توبةً نصوحاً يجعل لكَ من أمركِ فرجاً ومخرجاً، وسترين نفسكَ مشغولة بحبه وعبادته ﷻ، بلَ ستجدينَ الوقت يسعفكَ كي تقومي بأمور أكثر لتؤدي حق العبادة له، وما أجمل التفرغ لعبادتهَ ﷻ طِوال الليل

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٤٦ ص٧٤ ح٦٤ ب٥.

٢ ـ سورة البقرة: الآية ١٩٧.

٣ ـ سورة الفرقان: الآية ٧٠.

٤ ـ سورة إبراهيم: الآية ٧.

والنهار، فأبواب رحمة الله واسعة ومفتحة، وخزائن علمه ومعرفته لا تعد ولا تحصى.

إن كنتِ زوجة

وإن كنتِ متزوّجة فحيّ على الإخلاص والتفاني والستر، وحفظ شرف الزوج في حضوره وغيابه، وعامليه بالمودة والحب واجعلي زينتك له وحده.

احفظي حجابكِ وتأسي بأعظم قدوة لنساء العالمين، السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، واقرئي كيف كانت تقوم بحقوق زوجها، وكيف كانت محافظتها على حجابها حتى لحظة هجوم الأوباش الجاحدين عليها الدار، الذين اعتدوا على حرمتها الشريفة، وأحرقوا دارها، وكانوا السبب في كسر ضلعها وإسقاط جنينها ووفاتها ﷺ.

ونصيحتي لكِ - أختي الكريمة - أن تقرئي سيرتها العطرة ومناقبها .. إقرئي عن عفافها وخدرها، وعن حبها لزوجها وتضحيتها له، وعن خطبتها العظيمة التي أذهلت العالم بأسلوبها ومعانيها، والقيم التي اشتملت عليها، واعرفي تفاصيلها وأين حدثت وكيف وبأي هيئة توجهت للخطبة في الناس، والحجاب التي أماطته ليسترها عن المستمعين لخطبتها[١]؟!

---

١ ـ يراجع في ذلك إلى الكتب المفصلة، ككتاب «فاطمة الزهراء ﷺ من المهد إلى اللحد» تأليف آية الله السيد محمد كاظم القزويني ﷺ، وكتاب «فاطمة الزهراء ﷺ بهجة قلب المصطفى» تأليف الشيخ أحمد الهمداني، وكتاب «فاطمة الزهراء ﷺ أم أبيها» تأليف السيد فاضل الميلاني، وكتاب «من فقه الزهراء ﷺ» للإمام المرجع السيد محمد الشيرازي «دام ظله»، وغيرها من المؤلفات والموسوعات.

إن كنتِ أمّاً

الله الله بأبنائك فلذات كبدكِ التي تمشي على الأرض ، الله الله أيتها الزوجة الصالحة بالأمانة التي ائتمنكِ الله عليها لأداء حقها ، وتذكري دائماً أن من وراءنا الحساب الدقيق يوم الحَشر والنشر .

نعم هؤلاء الزهور والرياحين والبراعم المتفتحة قلنا ولا زلنا نقول في حقهم ، وفي بيان أهمية دورهم ، والسبيل إلى توعيتهم ، وانتشالهم من وحول الظلام والفساد ، فهم الثروة الحقيقية بأيدينا وعلينا أن نجعل منها خير نعمة ، ونباركها بحسن تربيتها .

وبإهمالنا هذه النعمة يمكن أن نحولها بأيدينا إلى نقمة تنزل غضب الرب ولعنته علينا ، ونكون السبب في زوال النعم كلها ، لسوء ما صنعناه بهذه الثروة التي لم نقدّر قيمتها الحقيقية .

وبالتالي نحن من سيحصد نتيجة سوء التربية ـ التي لا يُحمد عقباها ـ من تفشي المفاسد والانحرافات ، والتفكك الأُسري التي يعاني منها مجتمعنا الآن والتي سبق وتطرّقنا إليها .

نصيحة إلى الرجال

وهنا أعطي التفاتة متواضعة لأخي المؤمن الغيور على دينه، ونفسه وعِرضه وأهله وماله، الله الله بأمّكَ وأختكَ وزوجتكَ وابنتكَ . . كن لهن خير ابنٍ وأخٍ وزوجٍ وأبٍ، وأعظم قدوة في الالتزام والتمسك بشريعة الإسلام وأخلاقه.

اهتم بهن . . اسألهن عن أحوالهن . . طوّقهن بحبكَ وحنانكَ، فما أحوجهن إلى ذلك، فهن مخلوقات ضعيفات فقد أودعهن البارئ عندك لتحافظ عليهن، فقد أوصى بهن الرسول ﷺ قائلاً: **(رِفقاً بالقوارير)**[1] .

فهل تعلم من هُنّ القوارير؟ ولِمَ سُمّينَ بالقوارير؟

إن أحاسيسهنّ رقيقة مرهفة، وسهلة الانكسار، ومفعمات بالعواطف الجيّاشة، فالكلمة الطيبة تؤثر فيهن كثيراً، والكلمة الخبيثة تؤثر فيهن كذلك، إذن فلا تقسو عليهن، فالرسول ﷺ يقول: **(اتقوا الله، اتقوا الله في الضعيفين، اليتيم والمرأة، فإن خياركم، خياركم لأهله)**[2] .

فراعِ الله فيهن، وصُن كرامتهن، واحفظ حقوقهن، فإنما هُنّ رحمات مُنزّلة من الرحمن لتُبارك حياتكَ، وتسندكَ وتكون لك عوناً، ولتحقق معها الهدف الذي من أجله خُلقتم.

---

١ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٤ ص٣٩.

٢ ـ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٤

إذا كانت أمّكَ أو أختكَ أو ابنتكَ غير محجبة، فانصحها وألزمها بارتداء الحجاب عن طريق الإقناع، فذلك أطهر لها وأزكى.

وأدبهن بآداب الحجاب، كما أوصى الله نبيه المصطفى ﷺ في حق نسائه ونساء المسلمين في محكم الكتاب العظيم في سورة الأحزاب ـ وهو الأسوة الحسنة ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]، وكذلك الآية ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ۝ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ...﴾[2].

فالمسؤولية تقع عليكَ في نصحهنّ وإلزامهنّ بالحجاب فتحصّن شرفكَ وشرفهن من كل دنسٍ، ولوقايتهن من ضعاف النفوس الذين لا همّ لهم سوى ملاحقة أعراضِ الناس بالنظرة والكلمة المحرمة، والاستدراج إلى القبائح.

ذلك لأن الذي يحصل في هذه الأيام ـ وللأسف ـ أن بعضاً من الشباب حين يرى أخته أو زوجته أو ابنته قد تحجّبت، نجده يسخر منها ومن حجابها، بل وبلغت ببعض هؤلاء الشباب قمة الحماقة، وانعدام الغيرة لدرجة أنهم يمنعون زوجاتهم أو أخواتهم أو بناتهم من ارتداء الحجاب.

وأنا أعرف شخصياً زوجات قد طُلّقن وهُجرن، عقاباً لارتدائهنّ الحجاب من غير مشورة أزواجهن، أو لارتدائهن الحجاب رغماً عنهم.

فهل وصل بنا الانحطاط وعدم الإحساس بالمسؤولية إلى هذا المستوى؟

---

١ ـ سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

٢ ـ سورة الأحزاب: الآيات ٣٢ ـ ٣٣.

أين الكرامة وعزة النفس والغيرة الإسلامية على النفس والعرض؟

هل دُثر كل ذلك؟!

لماذا وصلنا إلى هذا الحدّ من حب التشبّه بالغرب وأخلاقه المبتذلة الحقيرة والجري ورائها؟!

بل ونجد بعضهم يفتخر بعرض مفاتن زوجته على الملأ دون أدنى إحساس بالكرامة والغيرة، الله أكبر، أي زمن نعيش فيه وأي مصيبة ابتلينا بها في ديننا حتى أصبحت الأعراض سلعة وبضاعة رخيصة تعرض على الملأ، ويتفاخر أصحابها بتعريتها لينهش شرفها ذئاب البشرية! عبر النظر ثم العلاقات السرية ثم . . .

ويحرضون على تقليد الأزياء الغربية، رمز العار ورأس الفساد!

أين خوفهم من يوم المسائلة العظيم؟

يوم يُسألون عمّا فعلوا بهذه الأمانة التي أوكلها إليهم رب العزّة؟ وقد أخذ منهم ميثاقاً على أن يستروهن ويحفظوهن!.

إنني لأدعو أن لا تكون يا أخي من أولئك المنحطين . . الغافلين عن عاقبة إخلافهم للأمانة، الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، وحرصوا على الفاني والوضيع ونبذوا ما هو خالد ورفيع، أرجو أن تكون مثالَ الشرف والكرامة . . متسلحاً بالغيرة والمروءة، وهما رمز وعنوان الرجولة الحقّة.

فاحرص على زوجتكَ وأختكَ وأمكَ وابنتكَ وجميع أهل بيتكَ من النساء، أن يتمسكن بحجابهن، وحرّض السافرة منهنّ على ارتداء الحجاب والتزامها به صوناً لشرفها وكرامتها التي هي كرامتكَ وشرفكَ أنتَ.

فهذا رسول الله ﷺ نزل عند أمر الشرع طائعاً راغباً، ولكم في رسول الله أسوة حسنة، وفي خلافه الدمار والانحطاط، وقد أوصانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالتزام نهج رسول الله ﷺ فقال: **(فتأسى متأسٍّ بنبيّه، واقتصّ أثره، وولج مولجه، وإلاّ فلا يأمن الهَلَكَة ...)**[1].

---

١ ــ نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

الزواج
شرف الفتاة وعفافها

أمر آخر أودّ أن أُذكّركَ به أخي المؤمن ألا وهي البنت، فهي ـ سواء كانت أختاً أو بنتاً ـ أمانة في عنقكَ ومسئوليتها في ذمّتكَ إلى أن تتزوج، فاحرص أشد الحرص على حجابها، الذي هو حصن لشرفها وأخلاقها وعفافها.

كما أودّ أن أنبّهكَ إلى أمر زواجها فعليكَ ألاّ ترفض من يتقدم إليها للزواج، إن كان ممن يرضى عنه الله، فلا تنظر إلى ماله واسمه وحسبه ونسبه ومستواه التعليمي، أو مسمّاه الوظيفي، أو راتبه أو كم سيدفع لها وما سيدفعه كـ «مهر» وكأنها بضاعة أو سلعة تساوم على قيمتها.. إنما هي أمانة في عنقكَ حتى تُدخِلها بيت زوجها، ولكن عليك السؤال عن أخلاقه وعن مدى تمسكه بدينه وهذا يكفي، فإن هذين الأمرين إذا كانا فيه، تسعد زوجته معه، وإن لم يكونا فيه، فلن تسعدها أمواله وشهادته الجامعية.

ولا تنس جواب الإمام الجواد عليه السلام الذي ذكرناه لعلي بن أسباط[1]، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **(إذا جاءكم مَن ترضون خُلُقه ودينه فزوّجوه، وإلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)**[2].

---

١ ـ في حاشية الصفحة ١٤٧. ص (١٦٤)

٢ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٣٧٢.

وإن خالف بعض أفراد الأسرة فعليك إقناعه ـ بعد التأكد من صلاح الخاطب خُلُقاً وديناً ـ بالموافقة عليه.

فالزواج ستر وحفظ لأختكَ أو ابنتكَ من الفساد والانحراف والزلل، وأمان ووقاية لها من الفتنة، ففي الحديث الشريف: **(نزل جبرائيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد ربّكَ يُقرئك السلام ويقول: إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر، فإذا أينع فلا دواء له إلاّ اجتنائه، وإلاّ أفسدته الشمس وغيرته الريح، وإن الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهنّ إلاّ البعول »أي الأزواج« وإلاّ لم يؤمن عليهنّ الفتنة، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فخطب الناس، ثم أعلمهم ما أمره الله به.**

فقالوا: ممن يا رسول الله؟

فقال ﷺ: الأكفّاء.

فقالوا: ومن الأكفّاء؟

فقال ﷺ: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض)[1].

وأنتَ إن حرصتَ على تزويجها بسرعة مدروسة فقد حفظتَ شرفكَ وكرامتكَ، وحافظتَ على توصيل الأمانة إلى من هو أهل لها.

ناهيك عن عظيم الثواب الذي ستلقاه من ربّ العالمين لحرصكَ على هذه الأمانة وحفظ شرفها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: **(من عمل في تزويج حلال حتى يجمع الله بينهما زوّجه الله من الحور العين، وكان له بكل خطوة خطاها، وكلمة تكلّم بها عبادة سنة)**[2].

وإن كنتَ غير متزوج فأنتَ أيضاً مسؤول في اختيار الزوجة الصالحة

---

١ ـ بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٢٣.

٢ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٢١.

العفيفة المتحصنة بحصن الحجاب، وإن أعجبتكَ فتاة وهي سافرة فكرامتكَ ورجولتكَ تفرض عليكَ أن تنصحها بالحجاب من بادئ الأمر، لتحصن وتحفظ شرفكَ، وإن كانت محجبة فنعم الاختيار اختياركَ، وجعلها الله نعم الزوجة الملتزمة بحفظ شرفها وشرف زوجها، والمجاهدة في سبيل إسعاده، والساهرة على راحته .. التي تفرح لفرحه، وتخفف عنه آلامه.

وتأكد أن كل تلك الصفات إنما مبدأها هو الحجاب الذي يسلح من تَحصّنتْ به ويجعلها جميلة الخَلْق والخُلُق.

وأما إن كانت سافرة وأطاعتكَ في ارتداء الحجاب والالتزام به فقد كسبتَ أضعافاً مضاعفة من الثواب.

أوله: في اختيار هذه الفتاة لتكمِّل معها نصف دينكَ.

ثانيه: ثواب هدايتكَ لها وحثّها على ارتداء الحجاب وهو عند الله أفضل مما طلعت عليه الشمس.

ثالثه: فقد ضمنتَ تحصين وحفظ شرفكَ في حضوركَ وغيابكَ، وضمنتَ سعادتكَ إن شاء الله في الدنيا والآخرة.

جعلها الله لكَ سكناً وأماناً وأسكنها الله معك في عظيم جنانه، فعن الإمام الباقر عليه السلام: **(ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله)**[1].

وأمّا إن رَفَضَت الحجاب بعد حثّكَ لها، فعليكَ أن تصرف النظر عنها، وتبحث عن المستورة العفيفة التي تخاف الله حقاً، وعسى الله أن يرزقك خيراً منها.

فاختيار الزوجة يجب أن يكون كما بيّن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وحثّ عليه

---

١ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢١٧.

في أحاديثه الشريفة والتي أشرنا إلى بعضها في ما مرّ، ونذكر هنا بعضاً آخر، قال رسول الله ﷺ: (خيرُ نساء أمتي أصبحُهنّ وجهاً وأقلّهنّ مهراً)[١].

وقال ﷺ: (اختاروا لِنُطَفِكُم، فإن الخالَ أحدُ الضجيعين)[٢].

وقال ﷺ: (خيرُ نسائِكم العفيفة الغَلِمَة، العفيفة في فرجها، الغَلِمَة على زوجها)[٣].

وقال ﷺ: (ألا أخبرُكُم بخير نسائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: إن مِن خير نسائكم الولود الودود .. الستيرة العفيفة .. العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها، الحصان مع غيره .. التي تسمع له وتطيع أمره .. إذا خلى بها بذلت ما أراد منها)[٤].

وقال ﷺ: (التي إن غضبت أو غضب، تقول لزوجها: يدي في يدك، لا أكتحل عيني بغمض حتى ترضى عنّي)[٥].

وقال ﷺ: (من أُعطي أربع خصال، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، وفاز بحظّه منهما: ورعٌ يعصمُهُ عن محارم الله، وحُسنُ خُلُقٍ يعيش به في الناس، وحلمٌ يدفعُ به جهلَ الجاهل، وزَوجةٌ صالحةٌ تعينُهُ على أمر الدنيا والآخرة)[٦].

---

١ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٦.

٢ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٦.

٣ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٧.

٤ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٩.

٥ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٩.

٦ ـ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٢٣٧.

ماذا عن الزواج من الغربية؟

ومـن الأمـور التـي اسـتجدتْ وانتشـرتْ في مجتمعاتنـا الإسـلامية، وبسبب الانفتاح على الغرب وهجرة الكثير من الشباب إلـى الخارج، أصبح بعض الشباب يميل إلى الاقتران بالفتاة الغربيـة، الأمر الـذي أثّر سلبياً على حياتهم وعلى المجتمع.

أمّا بالنسبة لهم فنجد أن زوجاتهم لم يستطعن التأقلم والتكيّف مع المجتمع الشرقي الجديد عليهن، بسبب اختلاف العادات والتقاليد، والأهم من ذلك الديانة والأخلاق.

نعم قد يؤثر هذا النوع من الزواج على بعضهن، ويجعلـهن يدخلن في الإسلام، وهذا ما نطمح للوصول إليه ـ وهو ثواب هداية الغير إلى ديننا الإسلامي الحنيف ـ ولكن لا نجد الكثير من هؤلاء الشباب يتنبه أو يـهتم لـهذا الأمر ـ مع الأسف ـ بل وإنني أعرف شخصياً أناساً قد تزوجوا من غربيّات ولا زلن على دينهن.

ولكم أن تتصوروا المشاكل التي تنتج عن اختلاف ديانة الأب والأم وتأثير ذلك في تربية الأولاد.

فقد سأل الإمامَ الصادق عليه السلام أحدُ أصحابه، قال: سألته عن الرجل المؤمن يتزوج النصرانية واليهودية، فقال عليه السلام: **(إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنصرانية؟)** قلت: يكون له فيها الهوى، قال: **(إذا فعل فليمنعها**

من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، واعلم أن عليه في دينه غضاضة)[١] .

فكما نعرف أن الغرب مجتمع فاسد، لا يعترف أفراده بالأخلاق، ولا توجد عند الكثير منهم مبادئ كمبادئ ديننا الحنيف، مثل الإيمان والشرف والأمانة والمروءة والغيرة، وغير ذلك من الأمور التي ينادي بها الإسلام، بل نجد التفسّخ الحضاري والمساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء من غير مبدأ ولا أساس ولا رعاية أو دستور معين، ومبدأهم الأساسي هو الحرية المطلقة والإباحية.

والرجل والمرأة لهما الحق في ممارسة حياتهما الشخصية بالطريقة التي يحبونها، ومن غير قيود أو حدود.

فهي حين تبلغ السادسة عشر من عمرها لها حق الانفصال عن أسرتها وتتحمل مسئولية نفسها، ولها الحق في الخروج مع من تشاء، بل وأنها تُعيّر من قبل أهلها إذا لم تتعرف على شاب وتخرج وتعيش معه كزوج وزوجة من غير رباط شرعي وديني ـ والعياذ بالله ـ ومثل هذه الأمور غير واردة في ديننا الحق.

وكذلك الشاب له الحق مثل الفتاة في التصرّف في حياته الشخصية بحرية مطلقة كما يحلو له، وليس من حق الأب أو الأم أن يمليا عليه أمراً، بل إنهما لا يعيران ذلك أي اهتمام البتة.

وهذا سبب ما نجده من تفسخ وانحلال وفساد تعجّ به هذه المجتمعات،

---

١ ـ الغضاضة: النقص والضعة؛ بحار الأنوار: ج١٠٣ ص٣٧٦، وجواب الإمام ﷺ الذي يُظهر فيه عدم رغبته بهذا النوع من الزواج، إذا كانت غير المسلمة قد عاشت في أجواء المسلمين، أمّا تلك التي وُلدت في بلاد الغرب وعاشت في ظل قوانينهم وأعرافهم، فالمصيبة فيها أعظم، ولا يقدم على هذا العمل إلاّ الوضيع في دينه.

وهو سبب انتشار الكثير من الأمراض الخبيثة في مجتمعاتهم.

لذلك يجب علينا أن نحمد الله إلى آخر لحظة من أعمارنا على نعمة الإسلام ونردّد: ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ولذلك نجد الفرق الشاسع بين مبادئنا وبين غيابها في تلك المجتمعات مما يسبب عدم التوافق بينهما، وبالتالي كثرة المتاعب والمشاكل الزوجية بسبب الخلافات التي ستنشأ في وجهات النظر بينهما.

إن الزوج إذا لم يحرص من البداية على هداية زوجته إلى الإسلام والتأكد من صحة إسلامها، فإنه قد ضمن تعاسة أولاده وانحرافهم وضياعهم، بل وأن هناك الكثير من المآسي الزوجية التي تتسبب في ضياع الأولاد كالتي هربت من بيت زوجها وأخذت الأولاد معها، وحين خُيِّرَ الأولاد مع من يحبون أن يبقوا؟ اختاروا العيش مع أمهاتهم في بلاد الغرب الفاسد، حتى أنهم لا يريدون الرجوع إلى بلد آبائهم وهذا ما لا يرضاه الله والعوائل المسلمة، وحتى ضمير الشاب المتزوج من الأجنبية.

ومن الآثار السيئة أيضاً التي تترتب على الزواج من غير المسلمات كثرة العنوسة في فتياتنا المسلمات العفيفات المخدرات في مجتمعاتنا الشرقية، بالخصوص في هذا الزمن الذي غلتْ فيه المهور. وأصبح سمة العصر. وعزف المجتمع عن تعدد الزوجات، فكان الذي نرى، ونسمع من كثرة العانسات وما تتبعها من مشاكل نفسية وغيرها . . .

الأم
المثل الأعلى

أمّا الأم فهي الأساس والقدوة التي يجب أن تكون مثلاً حيّاً وصادقاً لأولادها في كل فضيلة، فبناتها لن يتقبلوا أو يقتنعوا بأي أمر من أوامرها بالمعروف ما لم تكن تجسده في عملها.

كيف نريد ـ مثلاً ـ لأبنائنا أن يكونوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم إذا كنّا نمارس خلاف ذلك، فنقول لأحدهم: اتصل بفلان وقل له أن والدي في خارج الدار، بينما في الحقيقة موجود، بهذه الطريقة التربوية الخاطئة يتعلمون درساً في الكذب منذ نعومة أظفارهم، ثم يكبر حجم الكذب مع كبر سنهم.

والجميع يعلم ما يجره الكذب من مصائب ومعاصي بعد ذلك، ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: **(لا تلقنوا الناس فيكذبون، فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان، فلما لقّنهم «إني أخاف أن يأكله الذئب» قالوا: أكله الذئب)**[1].

فلو أن الأم تعلّم ابنها حين يرتكب خطأ في حق أحد أن لا يكذب من أجل الإفلات من العقاب فتشرح له معنى الحديث **(الصدق ينجيك وإن خفته)**[2]، وتزوده العلم بمبادئ الإسلام وسيرة أهل البيت عليهم السلام، ومواقفهم

---

١ ـ كنز العمال: خبر رقم ٨٢٢٨.

٢ ـ غرر الحكم: ص٢١٨، الفصل الثالث في الصدق عن الإمام علي عليه السلام.

الشريفة، وتطبقها هي في حياتها، فإنها ستكون بذلك خير مثال للصدق والأمانة لأبنائها.

فالمؤمن قد تصدر منه أي هفوة، إلاّ الكذب، فعندما سألوا رسول الله ﷺ: (**يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا**)[١]، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ...**﴾[٢].

وكذلك بالنسبة لأساس تلك المبادئ وأهمها الحجاب الذي يجب أن تغرسيه وتلزمي به بناتك، وإلى جانبه تربيتهن على الخُلُق الحسن، واحترام الذات والآخرين، واكتساب الفضيلة والمحافظة على الشرف والعفّة.

نعم حجابك أيتها الأم بهذه الشروط يكون هو المعلّم وهو المثل الحيّ الذي تجسّدينه لهن لتقنعيهن بضرورة الالتزام والتمسك به، فالفتاة إن عاشت وسط أم محجبة وأخت وخالة وعمّة وصديقة محجبات سيثبت لها أن الحجاب هو أساس الشريعة الإسلامية، ومن غيره فالأخلاق والفضيلة والشرف والأمانة، وكل هذه المفردات السامية التي ينادي بها الإسلام تكون على مشارف الهاوية، ويبقى الإسلام بدونها جسد بلا روح واسم بلا مسمّى.

---

١ ـ الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٩٥.

٢ ـ سورة النحل: الآية ١٠٥.

من دروس الابتلاء

إن خلاصة ما مرّ من تجربتي ورحلتي مع الحجاب، والدرس الذي استفدتُه منه، والعبرة التي تيقنتُ بها هي أن الابتلاء أمر ملازم قد وضع الله قانونه، ليميّز الخبيث من الطيب، والصادق في عبادته لله ممن يعبده على حرف، ولينتخب صفوة عباده المتمسكين بصدق حبهم وطاعتهم له . . المؤمنين بهذا القانون السماوي، الذي ما أوجده الله إلاّ رحمةً وصلاحاً لعباده، ليعرفوا عظمته وقدرته، ويتقوه حق تُقاته.

ولا يزال الله ينزِّل قضائه وقَدَره على عبده المسلم، ويزيد من ابتلائه بالخير والشر لتزداد كفّة ميزانه رجحاناً فيجعله في جنات النعيم.

ولا يزال ﷻ يبتلي الإنسان بالخير والشر، ليُظهر حقيقةَ إيمانه، ويتبين مدى رسوخها أو تزعزعها، ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، ﴿... وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2].

فإن ظهر سوء سريرته، وخبث نيته، وكَلَهُ إلى نفسه، ولم ينظر إليه وجزاه ثوابه في الدنيا، ليُبعث يوم القيامة وليست عنده حسنة تشفع له عند الله، فيأتي الخطاب ﴿... أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا

---

١ ـ سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

٢ ـ سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ...﴾[١].

فليس لله بأمثال هؤلاء حاجة، (**فإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً تبعه بنعمه لينسيه الاستغفار ويتمادى به**)[٢]، **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**[٣].

وبفضل الله ورحمته بي فقد كان ابتلاؤه لي فيما قبل الحجاب تذكرة، وتنبيهاً لما ارتكبته من ظلم نفسي، وكذلك لكي أصحو من غفلتي وأتنبّه إلى أن الله قادر على أن يبقيني في ضلالي، لأشقى في الدنيا والآخرة.

أليس الله قادراً على أن يمحوني، وهو لا يعبأ بي إذا لم أرتدع وأتوب إليه؟

نعم هو قادر ولكن رحمته ألهمتني أن أدعوه، فلولا الدعاء لكنتُ غارقة إلى الآن في بحر ظلماتي **﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾**[٤].

وكان ابتلاء ما بعد الحجاب وما بعد الهداية، لتمحيص حقيقة صدقي، واستمرارية توجهي وتوبتي إلى الله . . ومدى محافظتي وتمسكي بحجابي، أم أنها مجرّد مرحلة مؤقتة كما اعتقد بعض أقاربي وأني سأملُّ وأعود إلى سفوري وضلالي السابق!

لذا يجب عليك أيتها الأخت المؤمنة أن تنتبهي إلى أن الرجوع إلى المعصية بعد التوبة . . ذَنبه أكبر وأعظم، فالجهل ـ مثلاً ـ بوجوب الالتزام

---

١ ـ سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

٢ ـ بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٣٠، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٣ ـ سورة الأنعام: الآية ٤٤.

٤ ـ سورة الفرقان: الآية ٧٧.

بارتداء الحجاب، وعدم الفطنة إلى أنه واجب على المرأة كالصلاة والصيام يعتبر معصية، ولكن الاستمرار على هذه المعصية بالخصوص في بلادنا التي يتوفر فيها علماء الدين الذين يبيّنون للناس مسائل الحلال والحرام، يعتبر تقصيراً خطيراً وتعمداً جريئاً على أوامر الله ﷻ.

فأمثال هؤلاء سيقولون يوم الحساب: لم نكن نعلم، فيأتيهم النداء من ربّ العزّة «هلاّ تعلمت؟!»، أمّا بعد علم السافرة بالحكم الشرعي، ومع ذلك تبقى على تبرّجها . . وتستمر بالعصيان، أو تتحجب مؤقتاً ثم تعود لسابق عهدها في أحضان الضلال يعتبر من اكبر الكبائر، فالاستمرار على المعصية الصغيرة يعتبر كبيرة، فكيف في الاستمرار على الكبيرة؟

يقول رسول الله ﷺ: **(لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيتَ)**[1].

وليس هذا سوى الاستهزاء بمقام الربّ الكريم؛ وقانا الله وإياكِ من هذه اللعنة وأدام علينا ظل الهداية وبركة الستر ورحمة الحجاب إلى آخر ساعة من حياتنا.

---

١ ـ بحار الأنوار: ج٧٤ ص٧٩ ب٣ ح٣.

الكلمة الأخيرة

يسرّني أن أُنبهكِ إلى أمر هام وهو أنكِ بعد أن يمنّ الله عليكِ بالحجاب، وتدخلي حصن العفاف وهذا كل أمنيتي لك، فإن من الهامّ جداً أن لا تهملي بقية واجباتك الدينية، فالحجاب لا يعني ثوباً ظاهرياً فقط.

فالتطهير يجب أن يكون ظاهراً وباطناً، وتطبيق مبادئ الحجاب يجب أن يكون قولاً وفعلاً، فلا فائدة من ارتداء الحجاب ولازالت النفس مدنسة غير مستقيمة . . جاهلة واجباتها تجاه ربها . . غير ملتزمة بتطبيق تعاليمه عملياً.

فالطاعة والتزام الواجبات الدينية، والعمل على رضا الله، ومحاولة التكفير والاستغفار يجب أن يكون هدف الإنسان الرئيسي في حياته، وعهد التوبة يجب أن يكون متواصلاً لا ينقطع، نسأل الله أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً، وان يصلح لنا ديننا ودنيانا.

إن الرسول الأعظم ﷺ مع كل ما له من المنزلة والحظوة عند الله لأنه أحب خلقه إليه، وهو أول الخمسة الذين خلقت من أجلهم السماوات والأرض[1]، وبالرغم من عصمته[1] فقد كان دائم التضرّع إلى الله

---

١ ـ إشارة إلى ما ورد في حديث الكساء الشريف: (قال الله ﷻ: يا ملائكتي ويا سكّان سماواتي، إني ما خلقت سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيّةً، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري، إلاّ في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرائيل: يا

والتذلّل إليه.

فهاهي أم سلمة تفيق في منتصف إحدى الليالي فلا تجد الرسول ﷺ بجانبها، فيداخلها ذلك الشعور الذي يداخل المرأة، وتهمّ بالبحث عنه في بيوت زوجاته الأخريات، وإذا بها تراه قد ركن إلى إحدى زوايا البيت يتضرع إلى الله باكياً متذلّلاً يدعو الله بهذا الدعاء: (**اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً .. اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً .. اللهم ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً .. اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً**)[٢].

نعم هذا هو عمل ودعاء وتوسل الرسول ﷺ، النبي المعصوم .. أعظم نبي لأعظم أمة، فماذا عنا؟ نحن الغافلين عن ذكر الله بالتوافه الزائلة، والمنشغلين عنه بملذّات الدنيا الفانية، فما يكون حالنا؟ وكيف يجب أن يكون توجهنا إليه ﷻ؟!

وأحمد الله حمداً لا يُعرف له حدٌّ، ولا يحصى أو يعد له عَدٌّ، وليس له أمدٌ، وأشكر له جزيل نعمائه، وعظيم كرمه، وواسع رحمته، وأسأله تعالى أن يجعلني من عباده الصالحين، ومن المحافظين على طاعته،

ربِّ ومن تحت الكساء؟ فقال ﷻ: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ... هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها).

والمراد: هم فاطمة وأبوها رسول الله ﷺ وزوجها علي بن أبي طالب والحسن والحسين ﷺ، من فقه الزهراء: ج١ ص٥٠.

١ ـ الذي أكدت عليها الآيات القرآنية، منها: ﴿والنجم إذا هوى ۞ ما ضل صاحبكم وما غوى ۞ وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلاّ وحي يوحى ۞ علّمه شديد القوى﴾، سورة النجم: الآيات ١ ـ ٥.

٢ ـ بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٧ ح٩.

والحريصين على التقرّب إليه، ونيل رضوانه، وممن اشترى رضا الخالق وإن كان فيه سخط المخلوق.

فما أسعد حظ من حرص على أن يكون العمار بينه وبين الله أكبر وأعظم مما هو بينه وبين الناس، أتمنى أن أكون من هؤلاء المحظوظين!

فيا ليت ما بيني وبينك عامر وما بيني وبين العالمين خراب

اعتذار

أودّ أن أبين لك أختي المؤمنة في ختام هذه الرحلة: أن كل ما ذكرته في رحلتي، وقدمته بأدقّ التفاصيل لأوصلك إلى حقيقة ما كنت أشعر به قبل الحجاب وحقيقة مشاعري بعده، لتتبيّني الفرق وتتحسسي قيمة النعمة بعد الغفلة، حتى لا تضيّعيها بعد أن تكوني قد نلتيها لتبقي في سعادة واستقرار وطمأنينة دائمة.

وأعتذر إن كنتُ في بعض الأحيان ابتعدت قليلاً أو خرجت إلى عدة مواضيع متفرعة من الموضوع الأساسي، فإني لا أقصدُ - بالطبع - أن أبتعد عن الهدف الرئيسي إلاّ للتوضيح، وتقديم الأمثلة الواضحة المتعددة لتكون الاستفادة أكثر، فكل ما ذكرته كان له علاقة وطيدة بالعناصر والمبادئ التي تنص عليها رسالة الحجاب.

وأنا إذ أقدّم هذا البحث المتواضع إنّما أشعر كمن يُقدّم صحيفة سوابقه تقرأ على الملأ لتكون كفّارةً عن ذنوبي، وسيئات أعمالي.. أو هو كتاب إقرار لله أمام خلقه بفادح ما ارتكبته من إثم.

كما أنه يعني بالنسبة لي «رسالة غفران» أسأل الله بها أن يغفر لي خطيئتي ويعفو عن زلّتي.

وأخيراً أسأله ﷻ أن يتقبّل مني هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ليقي من عذاب النار وجهي المدنّس بالخطايا، ويجعلني من عتقائه يوم الحساب.

وأسال الله لي ولكم ـ أخوة الإسلام ـ تمام الهداية والصلاح والإيمان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العـالمين، وصلـى الله علـى سيد الأنبيـاء والمرسـلين محمـد الأمـين، وعلـى أهـل بيتـه الطيبـين الطـاهرين، المعصومـين الميامين، شفعائي يوم الدين.

ندى عبد الصاحب

الكويت

الفهرس

